تَأْوِيلُ الصِّفَاتِ عِندَ الْمُتَوَلِّي الشَّافِعِيِّ
فِي كِتَابِهِ "الْغُنْيَةِ فِي أُصُولِ الدِّينِ"

عَرْضٌ وَنَقْدٌ

إِعْدَادُ :

د.سَارَةَ بِنْتِ حَامِدٍ مُحَمَّدٍ العَبَّادِيِّ

عُضْوِ هَيْئَةِ التَّدْرِيسِ بِكُلِّيَّةِ الْآدَابِ وَالْعُلُومِ الإِنسَانِيَّةِ فِي جَامِعَةِ طَيْبَةَ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[1].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾[2]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلاً سَدِيدًا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[3]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أقدم للقارئ الكريم هذه الدراسة حول موضوع "تأويل الصفات عند المتولي الشافعي" في كتابه " الغُنية في أصول الدين " عرض ونقد – وأسأل الله تعالى المعونة والسداد -

(١) آل عمران آية ١٠٢.

(٢) النساء آية ١.

(٣) الأحزاب الآيتان ٧٠-٧١ .

وألخص الحديث حول أهمية هذا الموضوع وسبب اختياري له فيما يلي:

١- نظراً لأني أتشرف بتدريس مادة العقيدة الإسلامية؛ حيث إن موضوع (تأويل الصفات) ضمن موضوعات المنهج الدراسي في الجامعة ؛وذلك لإثراء العطاء التدريسي والبحثي حول هذه الموضوعات الهامة.

٢- لبيان منهج السلف الصالح المتمثل في مذهب أهل السنة والجماعة حيث أن إثبات صفات المولى -عز وجل- الذاتية منها والفعلية من غير تكييف(١) ولا تمثيل(٢)ولا تشبيه ولا تعطيل(٣)، ثم أستنير بأهم مصادر العقيدة الإسلامية وهي نصوص الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، الصريحة والواضحة.ثم أعضد ردودي بأقوال كبار علماء السلف رحمهم الله تعالى.

٣- ثم إن كتاب المتولي الشافعي (الغُنية في أصول الدين) لم يرد عليه ولم يفند آراءه الاعتقادية في تأويل وتفويض الصفات للباري -عز وجل- أحد قبل ذلك -فيما أعلم- مع العلم بأن وفاته كانت في سنة ٤٧٨هـ

---

(١) التكييف: هو جعل الشيء على حقيقة معينة من غير أن يقيده بماثل والتكييف أعم من التمثيل.

انظر: لأبي عبد الله عامر فالح (معجم ألفاظ العقيدة) تقديم الشيخ عبد الله بن جبرين ط١ ص٩٧ الناشر: مكتبة العبيكان الرياض.

(٢) التمثيل: المثيل لغة : هو الند والنظير، والتمثيل هو: الاعتقاد في صفات الخالق أنها مثل صفات المخلوقين وهو كقول الممثل له يد كيدي، وسمع كسمعي تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. والتمثيل والتشبيه هنا بمعنى واحد، وإن كان هناك فرق بينهما في أصل اللغة.

انظر: المرجع السابق ص٩٩.

(٣) فالمراد بالتعطيل: في باب الأسماء والصفات هو نفي الأسماء والصفات أو بعضها وسلبها عن الحق تعالى.

انظر: المرجع السابق ص٩٢.

٤- الإسهام في إثراء مكتبة التراث الإسلامي في التفصيلات الدقيقة في موضوع (تأويل وتفويض الصفات) نظراً لأهمية الموضوع حيث إن توحيد الصفات لا ينفك أبداً عن توحيد الذات، أي توحيده تعالى بأفعاله وتوحيده بأفعال عباده جلّ وعلا ،ويتأكد من آراء المتولي الشافعي الاعتقادية في كتابه (الغُنية في أصول الدين) بأنه أشعري المذهب[1]؛ وذلك لتأويله بعض صفات

---

(١) "نسبة إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: وهو أبو الحسن علي بن إسماعيل من ذرية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولد بالبصرة ٢٧٠هـ مرت حياته الفكرية بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: عاش فيها في كنف أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره وتلقى علومه حتى صار نائبه وموضع ثقته، وقد نشأ على الاعتزال حتى بلغ عمره أربعين سنة.

المرحلة الثانية: ثار فيها على مذهب الاعتزال الذي كان ينافح عنه، بعد أن اعتكف في بيته خمسة عشر يوماً، يفكر ويدرس ويستخير الله تعالى حتى اطمأنت نفسه، وأعلن البراءة من الاعتزال،وهو يلجأ إلى تأويل النصوص بما ظن أنه يتفق مع أحكام العقل، وفيها اتبع طريقة عبد الله بن كلاب في إثبات الصفات السبع (وزاد عليها الوجه واليدين) عن طريق العقل: الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، أما الصفات الخبرية كالقدم والساق فتأولها على ما ظن أنها تتفق مع أحكام العقل وهذه هي المرحلة التي مازال الأشاعرة عليها.

المرحلة الثالثة: إثبات الصفات جميعها لله تعالى من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تحريف ولا تبديل ولا تمثيل، وفي هذه المرحلة كتب كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) الذي عبر فيه عن تفضيله لعقيدة السلف ومنهجهم والذي كان حامل لوائه الإمام أحمد ابن حنبل -رحمه الله- ولم يقتصر على ذلك بل خلّف مكتبة في الدفاع عن السنة وشرح العقيدة تقدر بـ ٨٦٠مؤلفاً توفي سنة ٣٢٤هـ ودفن ببغداد ونودي على جنازته (اليوم مات ناصر السنة).

وبعد وفاة أبي الحسن الأشعري، وعلى يد أئمة المذهب وواضعي أصوله وأركانه، أخذ المذهب الأشعري أكثر من طور، تعددت فيها اجتهاداتهم ومناهجهم في أصول المذهب وعقائده، وما ذلك إلا لأن المذهب لم يبن في البداية على منهج واضحة أصوله الاعتقادية، ولا كيفية التعامل

الذات وصفات الفعل وإصدار فتوى للعوام بالتفويض[1] بمعنى تفريغ الصفات للمولى –عز وجل– من معناها الحقيقي والإيمان بها كألفاظ مجردة لا تحمل أي معنى!! "والذي حمل القوم على القول بنفي هذه الصفات أو تأويلها "اعتقادهم أن القديم لا يكون محلاً للحوادث ؛لأن ذلك يفضي في زعمهم إلى حدوث القديم، ولم يفرقوا بين جنس الحوادث وأشخاصها، ولا بين حادث يحدثه هو في ذاته بمشيئته وقدرته وبين حادث يحدثه فيه غيره.فلزمهم نفي ما لا يحصى من صفات الفعل التي وردت بها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة من كونه سبحانه يتكلم متى شاء، ويحب ويرضى عن المؤمنين بعد إيمانهم، ويبغض ويسخط على الكافرين بعد كفرهم، وأنه إذا خلق المخلوقات رآها وسمع أصوات عباده.

والذي عليه سلف هذه الأمة إثبات جميع ما ورد به الكتاب والسنة من الصفات لا فرق بين صفة الذات وصفة الفعل، ولا فرق بين ما كان من الأفعال متعلقاً بالذات كالاستواء على العرش والمجيء والإتيان والنزول، أو كان متعدياً إلى غيره كالخلق والرزق والإحياء والإماتة وأنواع التدبير المختلفة"[2].

مع النصوص الشرعية، بل تذبذبت مواقفهم واجتهاداتهم بين موافقة مذهب السلف واستخدام علم الكلام لتأييد العقيدة والرد على المعتزلة،وقد نشأ الخطأ من الجمع بين أصول أهل السنة والجهمية.

انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إشراف : د/ مانع الجهني.المجلد الأول ط٣ ص٨٧، ٨٨ الناشر: دار الندوة العالمية للنشر.

(١) للحديث عن التفويض انظر الفصل الخامس من هذا البحث.

(٢) خالد العك (فقه التوحيد من شرح الطحاوية وفتح المجيد) ط١ ص٢٨ الناشر: دار إحياء العلوم بيروت.

"فالقول في صفاته كالقول في ذاته، والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا صفاته ولا في أفعاله، لكن يفهم من ذلك أن نسبة هذه الصفة إلى موصوفها كنسبة هذه الصفة إلى موصوفها، فعل الله وكلامه ونزوله واستواؤه هو كما تناسب ذاته سبحانه ويليق بها، كما أن صفة العبد هي كما تناسب ذاته وتليق بها، ونسبة صفاته إلى ذاته كنسبة صفات العبد إلى ذاته، ولهذا قال بعضهم: إذا قال لك السائل: كيف ينزل، أو كيف استوى، أو كيف يعلم، أو كيف يتكلم ويقدر ويخلق؟ فقل له : كيف هو في نفسه؟ فإذا قال: أنا لا أعلم كيفية ذاته، فقل له : وأنا لا أعلم كيفية صفاته، فإن العلم بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف"[١].

ويحتوي هذا البحث على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة،وهي كما يلي:

المقدمة: وقد ذكرت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياري له ..

الفصل الأول: التعريف بالكتاب وبمؤلفه،ويحتوي على مبحثين..

المبحث الأول: التعريف بالكتاب.

المبحث الثاني: التعريف بالمؤلف.

الفصل الثاني: معنى التأويل لغة واصطلاحا،ويحتوي على مبحثين..

البحث الأول: معنى التأويل لغة..

المبحث الثاني: وفيه مطلبان:

المطلب الأول:التأويل عند السلف.

المطلب الثاني: التأويل في اصطلاح المتأخرين (المتكلمين)..

---

(١) ابن تيمية (مجموع الفتاوى) تحقيق: مصطفى عطا.المجلد ٣ ج٥ ص١٦٥ الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.

الفصل الثالث: تأويل المؤلف للصفات الذاتية وبيان بطلانه،ويحتوي على سبعة مباحث وهي كما يلي:

المبحث الأول: تأويله لصفة اليد (عرض ونقد)

المبحث الثاني: تأويله لصفة العينين (عرض ونقد)

المبحث الثالث: تأويله لصفة الوجه (عرض ونقد)

المبحث الرابع: تأويله لصفة النور (عرض ونقد)

المبحث الخامس: تأويله لصفة الساق (عرض ونقد)

المبحث السادس: تأويله لصفة القدم (عرض ونقد)

المبحث السابع: تأويله لصفة الصورة (عرض ونقد)

الفصل الرابع: تأويله للصفات الفعلية،وبيان بطلانه،وفيه تمهيد وثلاثة مباحث وهي كما يلي:

التمهيد: للتعريف بالصفات الفعلية لله تبارك وتعالى..

المبحث الأول:تأويله لصفة الكلام (عرض ونقد)

المبحث الثاني:تأويله لصفة المجيئ (عرض ونقد)

المبحث الثالث:تأويله لصفة النزول (عرض ونقد)

الفصل الخامس:منهج المؤلف في(تفويض الصفات) وبيان بطلانه

الخاتمة: وتحتوي على أهم النتائج والفوائد المستخلصة من هذا البحث...

الفصل الأول:– التعريف بالكتاب وبمؤلفه.ويشتمل على مبحثين.

المبحث الأول: التعريف بالكتاب.

المبحث الثاني: التعريف بالمؤلف.

المبحث الأول: (التعريف بالكتاب)

كتاب الغُنية في أصول الدين لأبي سعيد عبد الرحمن النيسابوري المعروف بالمتولي الشافعي.

والنسخة التي بين يدي بتحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر بمركز الخدمات والأبحاث الثقافية، وقدم المحقق للكتاب بمقدمة مناسبة.

ولهذا الكتاب مخطوطتان:إحداهما في تركيا في مكتبة أياصوفيا تحت رقم ٢٣٤٠، والمخطوطة الأخرى في مكتبة البلدية بالإسكندرية بمصر برقم ٢٠١٤/ أد.

وقد حصل على الطبعة الأولى لهذا الكتاب ١٤٠٦هـ –١٩٨٧م الناشر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان.

ويقع الكتاب في ٢٠٨ صحيفة من الحجم المتوسط، ولا يخفى على القارئ الكريم معنى (الغُنية) ومنها: الاغتناء عند قراءته وفهمه عن غيره في موضوعه،وفي القاموس المحيط: "الغنية بالضم والكسر والغنوة والغنيات مضمومتين.والغنى ذو الوفر كالغاني وماله عنه غنى"[١]

وقد شرح المؤلف –رحمه الله– مسائل أصول الدين عامة بأسلوب رصين فلا إطناب ممل،ولا إيجاز مخل ..ومن تلك المسائل التي تحدث عنها المؤلف مسألة حدوث العالم وثبوت الصانع جل وعلا، وأنه تعالى قديم بنفسه ولا يشبهه شئ ولا

(١) للفيروز أبادي ج٤ ص٣٧١ فصل باب الواو والياء

يشبه شيئاً، ثم تحدث عن كلام الله تعالى وأنه منزل على الحقيقة،ورد على زعم المعتزلة بأنه مخلوق ،إلا أنه زعم بأنه المعنى القائم بالنفس أو أنه من كلام النفس..وسيرد على زعمه هذا في الفصل الرابع من هذا البحث بمشيئة الله تعالى.

ثم تحدث في هذا الكتاب عن صفات الحق سبحانه وتعالى الذاتية والفعلية، وأوَّل بعضا من هذه الصفات –كما هو شأن الأشاعرة ،وسيرد هذا البحث على مزاعمه هذه في الفصلين الثالث والرابع إن شاء الله تعالى.

ثم تحدث المؤلف عن مسائل عديدة ؛منها:مسألة خلق أفعال العباد وأن العبد قادر على كسبه .

وفي أن الحوادث كلها بقضاء الله تعالى، وفي الحسن والقبيح؛ وأن الباري تعالى يصح أن يرى بالأبصار عقلاً .. ثم تحدث عن المعجزة وأنها دالة على صدق الأنبياء–عليهم السلام–ثم عن فضل نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وعن حشر الخلائق ونعيم القبر وعذابه، وعن الروح والميزان والصراط وعن الجنة والنار، وأن مرتكب الكبيرة لم يستحق اسم الكفر، وعن شفاعة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وعن التوبة وأنها واجبة على كل عاصي،ثم الحديث عن شروط الإمامة وعدم جواز نصب إمامين في عصر واحد، وعن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها غير منصوص عليها.ثم الحديث عن مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تلك موضوعات ومسائل الكتاب بإيجاز شديد، وبذلك تتضح قيمة الكتاب العلمية، ومدى اعتماد الأشاعرة على آراء مؤلفه.لاسيما وأنه من متقدميهم؛ وقد تضافرت الأنباء على صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه[(١)]

---

(١) انظر: ابن خلكان (وفيات الأعيان) ص١٣٤ ج٣ ط دار صادر ، أبا الفلاح (ابن العماد) الحنبلي (شذرات الذهب) ص٣٥٨ ج٣ ط ذخائر التراث العربي، بالإضافة إلى هذا الكتاب والذي نحن بصدد الكتابة عنه.

المبحث الثاني: (التعريف بالمؤلف):

اسمه:

هو: أبوسعيد عبد الرحمن بن محمد واسمه مأمون بن على. وقيل: إبراهيم المعروف بالمتولي الفقيه الشافعي النيسابوري. وقال ابن العماد في الشذرات: ولم أقف على المعنى الذي سمي به المتولي.

مولده: ولد سنة ست أو سبع وعشرين وأربعمائة بنيسابور.

مشايخه:

أخذ الفقه عن ثلاثة من الأئمة في ثلاثة من البلاد:

عن أبي القاسم عبد الرحمن الفوراني المروزي الفقيه الشافعي بمرو، وعن القاضي حسين بن محمد، بمر الروذ، وعن أبي سهل أحمد بن علي الأبيوري ببخارى.

سيرته:

كان جامعا بين العلم والدين وحسن السيرة وتحقيق المناظرة، له يد قوية في الأصول والفقه والخلاف، تولى التدريس بالمدرسة النظامية بمدينة بغداد بعد وفاة أبي إسحاق الشيرازي، ثم عزل عنها في بقية سنة ست وسبعين وأربعمائة.

قال ابن كثير: هو أحد أصحاب الوجوه في المذهب، وسمع الحديث، وصنف في الفقه كتاب "تتمة الإبانة" تمم به "الإبانة" تصنيف شيخه الفوراني، لكنه لم يكمله وعاجلته المنية قبل إكماله، وصنف كتاباً في أصول الدين وكتاباً في الخلاف مختصراً في الفرائض وحدث بشيء يسير.

وفاته: توفي ليلة الجمعة الثاني عشر من شوال سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ببغداد ودفن بمقبرة باب أبرز رحمه الله تعالى" [١].

---

(١) انظر: أبا الفلاح عبد الحي الحنبلي(شذرات الذهب في أخبار من ذهب)ص ٣٥٨، ج٣ المكتب التجاري بيروت ،: خير الدين الزركلي (الأعلام) ج٣ ص٣٢٣ ، أبا العباس شمس الدين أحمد بن خلكان (وفيات الأعيان) ص ١٣٣حققه د/إحسان عباس ج٣ دار صادر بيروت أيضا: الحافظ الذهبي(العبر في خبر من غبر)ص٢٩٢ ، ج٣ تحقيق فؤاد سيد ط٢ ١٩٨٤م.

الفصل الثاني: (التأويل لغة واصطلاحا)..ويشتمل عل مبحثين :

المبحث الأول : معنى التأويل لغة:

يقول ابن منظور في لسان العرب " أول : الأوّل: الرجوع. آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً: رجع وأول إليه الشيء: رجعه.وألت عن الشيء: ارتددت. وفي الحديث: من صام الدهر فلا صام ولا آل.أي:لا رجع إلى خير ... وأول الكلام وتأوله:دبره وقدره، وأوله وتأوله: فسره وقوله عز وجل: ولما يأتهم تأويله؛ أي:لم يكن معهم علم تأويله"[١]

ويفهم من معاني التعريفات السابقة بأن التأويل بمعنى المآل والرجوع، أو التفسير والتدبير وحسن تقدير الأمور.

أما التأويل في الاصطلاح:

يقول ابن منظور: " والمراد بالتأويل:نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ"[٢]"والتأويل:صرف الآية عن معناها إلى معنى تحتمله، إذا كان المعنى المحتمل الذي تصرف إليه الآية موافقاً للكتاب والسنة"[٣]قال الآمدي[٤]: " التأويل هو:حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتماله له"[٥].

(١) ج١١ حرف اللام فصل الهمزة الناشر دار صادر بيروت ص٣٣،٣٢ .

(٢) المصدر السابق نفس الصحيفة .

(٣) الزبيدي.تاج العروس ج٧ ص٢١٤ مادة أول ط دار صادر بيروت .

(٤) هو:علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي، أصولي باحث أصله من آمد (ديار بكر) ولد بها وتعلم في بغداد والشام، وانتقل إلى القاهرة، فدرس فيها واشتهر، وتوفي بدمشق له نحو عشرين مصنفاً، عاش ما بين عام ٥٥١-٦٣١هـ رحمه الله.انظر: خير الدين الزركلي (الأعلام) المجلد ٤ ص٣٣٢ ط٥ الناشر: دار العلم بيروت.

(٥) سيف الدين الآمدي (الأحكام) ج٣ ص٥٩٩ ط دار الفكر بيروت .

قال ابن قيم الجوزية[١]: " هو: صرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه وما يخالف ظاهره، وهو مراد المعتزلة والجهمية، وغيرهم من فرق المتكلمين، وهو الشائع في عرف المتأخرين من أهل الأصول والفقه"[٢].

المبحث الثاني(التأويل عند السلف...وعند المتكلمين) وفيه مطلبان :

المطلب الأول:– التأويل عند السلف:

أولاً لابد من بيان معنى السلف .. فإن كل فرقة أو مذهب يدعي أن علماءه وشيوخ مذهبه هم السلف الصالح لا غيرهم " ولهذا كان سلف الأشاعرة غير سلف المعتزلة وسلف الشيعة غير سلف الخوارج، وأصبحت كلمة السلف ذات ذيول طويلة قد تمتد إلى القرن السابع الهجري.

وحسماً للموقف نرى أن لا نتخطى القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وندعي أن هناك آراء سلفية مهما بلغ بنا حسن الظن بالمتقدمين .. ولا بد أن يضاف إلى السبق الزمني موافقة الرأي للكتاب والسنة نصاً وروحاً..."[٣].

أما التأويل عند السلف فيأتي بمعني: التفسير والبيان، واستعمله الرسول ـعليه الصلاة والسلام-حين " دعا لابن عباس بقوله "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" فالتأويل هنا بمعنى التفسير والبيان"[٤].

---

(١) هو: الإمام المحقق الحافظ شمس الدين أبو عبد الله بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية، ولد في بيت علم وفضل سنة ٦٩١هـ في قرية قرب دمشق من شيوخه شيخ الإسلام ابن تيمية، تتلمذ عليه كثير من العلماء والفقهاء، بلغت مؤلفاته نيفاً وستين كتاباً في مختلف العلوم، توفي رحمه الله في الثالث والعشرين من شهر رجب سنة ٧٥١هـ انظر: ترجمته في مقدمة كتاب (مختصر الصواعق المرسلة) تحقيق سيد إبراهيم ص١٥-١٦ باختصار وتصرف كثير.

(٢) الصواعق المرسلة ج١ ص٧٩ .

(٣) ابن تيمية(التدمرية)تحقيق:د/محمد السعوي ص٩٢الناشر:مكتبة العبيكان،أيضا: د/ محمد الجليند (الإمام ابن تيمية وقضية التأويل) ص٥٢ بتصرف قليل.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ج١ ص٣٤٧ ط دار المعرفة بيروت.

وقد استعمل الإمام الطبري (في تفسيره) للفظ للتأويل بمعنى التفسير والبيان إذ يقول عند تفسيره للآيات الكريمات وتأويل الآية كذا ثم يأخذ في تفسيرها وبياتها:

ثم " إن التفسير أعم من التأويل وأكثر ما يستعمل في الألفاظ، والتأويل أكثر ما يستعمل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، أما التفسير فيستعمل فيها وفي غيرها"[(١)].

" وبالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح"[(٢)].

" والتأويل في لفظ السلف له معنيان: أحدهما تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا.

والمعنى الثاني: في لفظ السلف... هو نفس المراد بالكلام، فإن الكلام إن كان طلبا[(٣)]كان تأويله نفس الفعل المطلوب،وإن كان خبرا[(٤)]كان تأويله نفس الشيء المخبر به.

وبين هذا المعنى والذي قبله بون، فإن الذي قبله يكون التأويل فيه من باب العلم والكلام ، كالتفسير والشرح والإيضاح، ويكون وجود التأويل في القلب واللسان له الوجود الذهني واللفظي والرسمي، وأما هذا فالتأويل فيه نفس الأمور الموجودة في الخارج، سواء كانت ماضية أو مستقبلة، فإذا قيل: طلعت

(١) الراغب الأصفهاني مفردات غريب القرآن كتاب الألف ٣١-٣٢ ٣٣٠ ط١ الحلبي.

(٢) ابن القيم الجوزية (الصواعق المرسلة) ج١ ص١٨٧.

(٣) أي: أمرا أو نهيا .

(٤)أي: الإخبار بالماضي أو الحاضر أو المستقبل .

الشمس؛ فتأويل هذا نفس طلوعها، ويكون التأويل من باب الوجود العيني الخارجي فتأويل الكلام هو الحقائق الثابتة في الخارج بما هي عليه من صفاتها وشؤونها وأحوالها، وتلك الحقائق لاتعرف على ماهي عليه إلا بمجرد الكلام والإخبار إلا أن يكون المستمع قد تصورها أو تصور نظيرها بغير كلام وإخبار، لكن يعرف من صفاتها وأحوالها قدر ما أفهمه المخاطب: إما بضرب المثل، وإما بالتقريب، وإما بالقدر المشترك بينهما وبين غيرهما، وإما بغير ذلك "[١]

" وأما التأويل الذي اختص الله به فحقيقة ذاته وصفاته كما قال مالك: والكيف مجهول ؛ فإذا قالوا ماحقيقة علمه وقدرته وسمعه وبصره ، قيل:هذا هو التأويل الذي لايعلمه إلا الله...فالتأويل المنفي[٢] هو تأويل الأخبار التي لا يعلم حقيقة مخبرها إلا الله ، والتأويل المعلوم[٣] هو الأمر الذي يعلم العباد تأويله "[٤]

المطلب الثاني: (التأويل في اصطلاح المتأخرين (المتكلمين)

يقول أبو حامد الغزالي: " كل خبر مما يشير إلى إثبات صفة الباري تعالى يشعر ظاهره بمستحيل في العقل نظر: إن تطرق إليه التأويل قبل وأول، وإن لم يتدرج فيه احتمال تبيّن على القطع كذب الناقل؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مسدد أرباب الألباب، ومرشدهم؛ فلا يظن به أن يأتي بما يستحيل في العقل"[٥].

---

(١) انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية (الفتاوى) ص٢٨٨- ٢٩٠ /١٣ ط مجمع للملك فهد ١٤٢٥هـ .

(٢) أي: التأويل المحذور والممنوع .

(٣) أي: الجائز والمباح .

(٤) المصدر السابق ص ٣١٢ - ٣١٣ .

(٥) انظر: المنقول من تعليقات الأصول ص٢٧٦ تحقيق حسن هيتو نقلا عن: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان حسن ج٢ ص٥٤٨ الناشر: مكتبة الرشد الرياض.

"ويذكر ابن رشد أنه إذا خالف ظاهر الشرع البرهان –الدليل العقلي– طلب تأويل ظاهر الشرع، ومعنى التأويل عنده: إخراج دلالة اللفظ إلى ما يحتمله من المعاني، ويقول: " ونحن نقطع قطعاً أن كل ما أدى إليه البرهان، وخالفه ظاهر الشرع، أن ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل... وهذه قضية لايشك فيها مسلم ولا يرتاب مؤمن"[١].

ويقول الرازي: "هذه الدلائل النقلية إما أن يقال إنها غير صحيحة، أو يقال إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها، ثم إن جوزنا التأويل واشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإن لم يجز التأويل فوضنا[٢] العلم بها إلى الله تعالى"[٣].

وكما يظهر– لي والله أعلم– أن مرادهم يتلخص في القول:بأنه إذا ما ظهر في النص الشرعي استحالة لأفهامهم، وعقولهم المخلوقة، والمحدودة بعتبات حواسهم ،بأن هناك تعارضا عقلا بينها وبين ظواهر النصوص الشرعية!!فيجب عليهم حينئذ التأويل بصرف النص بنقله عن معناه الحقيقي الظاهر!! إلى معنى آخر مرادف له أو غير مرادف !!وذلك حلاً للتعارض القائم في أفهامهم وعقولهم!! والله المستعان على ما يصفون..

" إن التأويل في عرف المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة والمحدثة ونحوهم هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به؛ وهذا هو

---

(١) فصل المقال ص٣٣ نقلاً عن المرجع السابق نفس الصحيفة.

(٢) انظر: الفصل الخامس من هذا البحث (التفويض بالصفات) .

(٣) انظر: فخر الدين الرازي.أساس التقديس ص٢٢٠، ٢٢١ ط مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة.

التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف...والمتأول عليه وظيفتان: بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي ادعاه، وبيان الدليل الموجب للصرف إليه عن المعنى الظاهر، وهذا هو التأويل الذي يتنازعون فيه في مسائل الصفات "(١)

الفصل الثالث: (تأويل المؤلف للصفات الذاتية وبيان بطلانه) وفيه تمهيد وستة مباحث:

التعريف بالصفات الذاتية لله تبارك وتعالى:

"يراد بصفة الذات ما تكون لازمة للذات أزلاً وأبداً لا يتصور انفكاكها عنها، وذلك كصفة الحياة والقدرة والعلم والعزة والعظمة والكبرياء والجلال"(٢).

ويقول الجرحاني في كتابه التعريفات: "الصفات الذاتية هي مايوصف الله بها ولا يوصف بضدها نحو القدرة والعزة والعظمة وغيرها"(٣).

المبحث الأول (تأويله لصفة اليد،عرض ونقد) :

يظهر، بل ويتأكد انحياز الإمام المتولي الشافعي إلى رأي المؤولة لبعض صفات الحق –سبحانه وتعالى– الذاتية من حديثه في كتابه (الغُنية في أصول الدين) والذي هو محور هذا البحث حيث مال إلى تأويل صفة اليد للحق –جلّ وعلا– بالقدرة كما هي حال المتأخرين من الأشاعرة(٤).

---

(١) انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية (الفتاوى) ص٢٨٨ /١٣ ط مجمع الملك فهد ١٤٢٥هـ.

(٢) انظر مثلاً: الشيخ خالد العك (فقه التوحيد من شرح الطحاوية) وفتح المجيد ص٢٧ ط١ الناشر: دار إحياء العلوم.بيروت أيضاً: أبا عبد الله عامر فالح (معجم ألفاظ العقيدة) ص٢٤٣ الناشر: مكتبة العبيكان.الرياض.

(٣) ص١٣٨ الناشر: مكتبة لبنان.بيروت.

(٤) للتعريف بهم انظر مقدمة البحث.

وقد بدأ البحث بالحديث عن صفة اليد لبدء المؤلف بها..وفيما يلي نص حديثه:

"... واختلفوا في ذلك فذهب جماعة[(١)] إلى أن هذه الصفات زائدة على ما دل عليه العقل[(٢)] واستدلوا على ذلك بقوله:

﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[(٣)] ولا وجه لحمله على القدرة لأن جملة المخلوقات حاصلة بالقدرة فتبطل فائدة التخصيص[(٤)].

وفهم من أنكر أن تكون هذه الصفات زائدة على مادل عليه العقل[(٥)] وصار إلى أن العين محمول على البصر، والوجه محمول على الوجود[(٦)] واليد على القدرة وما استدلوا عليه بأن من قال العقل قد دل على أن الخلق لا يقع إلا بالقدرة، ومن أثبت صفة قديمة يقع بها الخلق[(٧)] فقد أبطل حقيقة القدرة وأثبت لها تناهياً[(٨)]،لأن ما حصل باليد[(٩)] لم يحصل بالقدرة فتكون القدرة

---

(١) يشير إلى مذهب أهل الحق أهل السنة والجماعة في بطلان التأويل.

(٢) أي أن العقل -بزعمه- يشير إلى التأويل !!

(٣) سورة ص~ آية ٧٥.

(٤) أي: تخصيص آدم -عليه السلام- بالخلق بيدي الرحمن جل جلاله.

(٥) أي: مادل عليه من تأويلها بالقدرة حسب زعمهم !!

(٦) سيتطرق البحث إلى الرد على تأويلهم لصفة العين، وصفة الوجه في المباحث التالية بإذن الله تعالى.

(٧) يقصد صفة اليد للحق جل وعلا.

(٨) أي: أن من أثبت أن للحق عز وجل يداً حقيقية من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه فقد أثبت تناهي صفة القدرة للحق جل وعلا.أي أن لها أمداً محدوداً تنتهي إليه.والمعلوم من الدين بالضرورة بأن الحق جل وعلا ذاته وصفاته ليست متناهية فليست لها بداية ولانهاية ولا يطرأ عليها العدم ولا الفناء "ليس كمثله شيء وهو السميع العليم".

(٩) من خلق آدم عليه السلام.

متناهية [١]، وأيضاً فإن آدم –عليه السلام– ما استحق السجود لأنه مخلوق باليد.ولكن أمر الحق سبحانه وتعالى الملائكة بالسجود فصار ظاهرا لأنه متروك ووجب حمله على تأويل[٢] وهو أنه تخصيص تشريف[٣] كما أضاف الكعبة إلى نفسه وأضاف المؤمنين بصفة العبودية إلى نفسه"[٤]

يتضح من كلام المؤلف : بأنه ينكر تخصيص آدم *عليه السلام* بسجود الملائكة لخلق الرحمن –جلّ وعلا– له بيديه ويحصره ذلك بمجرد الأمر ولم يورد أي دليل عقلي أو نقلي وذلك للوصول إلى ترجيح تأويل اليد بالقدرة !!

والحقيقة أن سياق الآية الكريمة يدل دلالة ظاهرة بالأمر بالسجود له –عليه السلام– لتخصيصه بالخلق بيدي الباري جلّ وعلا.

ومما يدل على ذلك ماورد في صحيح البخاري –رحمه الله– "عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحينا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أما ترى الناس؟ خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا..."[٥].

والشاهد من نص الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم: "خلقك الله بيده " "فهذه ثلاث خصائص له –عليه السلام– فلو كان المراد باليد القدرة لكان

---

(١) أي: عند إثبات حقيقة صفة اليد للمولى سبحانه وتعالى.

(٢) أي تأويل اليد بالقدرة.

(٣) أي تخصيصه بأمر الملائكة للسجود له.

(٤) الغنية في أصول الدين ص١١٤،١١٣ ط١.الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية.

(٥) انظر:فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١٣ص٣٩٢ باب قوله تعالى "لما خلقت بيدي" الناشر: دار المعرفة.

بمنزلة أن يقال له: خلقك الله بقدرته.فأي فائدة في ذلك" فإن مثل هذا التخصيص إنما خرج مخرج الفضل له على غيره، وإن ذلك أمر اختص به لم يشاركه فيه غيره، فلا يجوز حمل الكلام على ما يبطل ذلك"[1].

ومما لاشك فيه أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نزلا بلغة العرب ولا يخفى أن امرأ يقول: فعلت أو صنعت هذا بيدي فيدل قوله دلالة قاطعة بأنه قد فعل بيده الحقيقية.ولا يمكن أن يؤول قوله بأن فعله كان بقدرته أو بنعمته !!!

"وعُدي الفعل بحرف الباء فإنه نص في أنه فعل الفعل بيديه ...فلو لم يرد أنه فعله باليد حقيقة كان ذلك زيادة محضة من غير فائدة.ولست تجد في كلام العرب أن فصيحاً يقول:فعلت هذا بيدي أو فلان فعل هذا بيديه إلا ويكون فعله بيديه حقيقة، ولا يجوز أن يكون لا يد له، أو أن يكون له يد والفعل وقع بغيرها"[2].

وقد أرادوا بتأويلهم صفة اليد بالقدرة أو النعمة –بل ولجميع صفات الحق جل وعلا تنزيها له –سبحانه وتعالى– عن الشبه بمخلوقاته ،تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[3] "هذا

---

(١) انظر الإمام ابن القيم الجوزية (الصواعق المرسلة) ص٣٧٣ تحقيق سيد إبراهيم الناشر: دار الحديث القاهرة.

(٢) انظر ابن تيمية (مجموع الفتاوى) جمع عبد الرحمن قاسم ج٦ ص٣٦٦.الناشر: مكتبة المعارف المغرب بتصرف قليل.

(٣) الشورى آية ١١.

يوجب امتناع وصفه بأن له يداً من جنس أيدي المخلوقين وهذا لا ريب فيه، لم لا يجوز أن يكون له يد تناسب ذاته تستحق من صفات الكمال ما تستحق الذات؟ فليس في العقل والسمع ما يحيل هذا، فإن كان ممكناً وهو حقيقة اللفظ فلم يصرف عنه اللفظ إلى مجازه"[١].

وهل وسع أولئك المؤولة –ومنهم المؤلف– ما وسع النبي العظيم عليه أفضل الصلاة والتسليم.فهل ورد عنه نص بتأويل اليد أو أي صفة من صفات الباري –جل وعلا– ؟! أو هل ورد ذلك عن صحابته الأبرار أو عن التابعين[٢] وتابعي التابعين "وهل بلغنا أن في كتاب الله أو في سنة رسوله صلى الله عيه وسلم أو عن أحد من أئمة المسلمين أنهم قالوا المراد باليد خلاف ظاهره، أو الظاهر غير ذلك ، أو هل في كتاب الله آية تدل عل انتفاء وصفه باليد دلالة ظاهرة بل أو دلالة خفية"[٣].

"وهل في العقل ما يدل دلالة ظاهرة على أن الباري –جل وعلا– لا يد له البتة ... هل فيه ما يدل على ذلك أصلاً ولو بوجه خفي؟ فإذا لم يكن في السمع ولا في العقل ما ينفي حقيقة اليد البتة، وأن فرض ما ينافيها فإنما هو من الوجوه الخفية –عند من يدعيه– وإلا في الحقيقة إنما هو شبهة فاسدة.

---

(١) المصدر السابق ص٣٦٧.

(٢) هم ذوو العصر الذي يلي عصر الصحابة رضوان الله عليهم، واختلف العلماء في بيان طبقات التابعين فعدهم مسلم ثلاث طبقات، وعدهم ابن سعد أربع طبقات، وعدهم أبو عبد الله الحاكم خمس عشرة طبقة ؛ وهو الذي جرى عليه السيوطي في ألفيته.

انظر: السيد قاسم الأندجاني (المصباح في أصول الحديث) ط٢ ص ٢٣٢.الناشر مكتبة الزمان.

(٣) ابن تيمية (مجموع الفتاوى) ج٦ ص٣٦٨،٣٦٧.

فهل يجوز أن يملأ الكتاب والسنة من ذكر اليد، وأن الله تعالى خلق بيده وأن يديه مبسوطتان، وأن الملك بيده، وفي الحديث مالا يحصى، ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأولي الأمر: لا يبينون للناس أن هذا الكلام لا يراد به حقيقته ولا ظاهره"[١].

"ثم يقال:ما الذي يضركم من إثبات أن اليد حقيقة، وليس معكم ما ينفي ذلك من أنواع الأدلة لانقليها ولا عقليها ولا ضروريها ولا نظريها.فإن فررتم من الحقيقة خشية التشبيه والتمثيل، ففروا من إثبات السمع والبصر والحياة والعلم والإرادة والكلام خشية هذا المحذور"[٢].

"وإن فررتم خشية التجسيم والتركيب[٣] ففروا من سائر الصفات من أولها إلى آخرها لأجل هذا المحذور؛ فإن ادعيتم أن التجسيم والتركيب يلزم مما فررتم منه دون مالم تفروا منه ظهر بطلان دعواكم للعقلاء قاطبةً فإن الصفات أعراض لا تقوم بنفسها، وقيامها بمحلها مستلزم لما تدعون أنه تجسيم وتركيب"[٤].

---

(١) المصدر السابق ص٣٦٨ .

(٢) ابن القيم الجوزية (مختصر الصواعق للمرسلة) تحقيق سيد إبراهيم ص٣٧٨.الناشر: دار الحديث القاهرة.

(٣) التجسيم لفظ استعمله نفاة الصفات الذين قالوا بأن إثبات الصفات الذاتية لله مستلزم للتجسيم والتحيز،وأن الصفات التي أثبتها الله سبحانه لنفسه كاليد والوجه وغيرها إنما هي أعراض، والعرض لا يقوم إلا بجسم.وهؤلاء الذين نفوا الصفات خشية وقوعهم في التجسيم وقعوا في نقيض ذلك فهم أثبتوا لله حياة وعلماً وقدرة مع أن هذه الصفات لا تقوم إلا بجسم. وقد أطلقوا على أهل السنة والجماعة (المجسمة) لأنهم أثبتوا لله ما أثبته لنفسه. أما التركيب: فهو لفظ يستعمله نفاة الصفات من غلاة الفلاسفة والجهمية؛ حيث يقولون إن إثباتنا للصفات يستلزم التركيب؛ أي أن الصفات تجتمع وتركب الخالق.وهذا أوصلهم إلى نفي الصفات الثابتة لله تعالى.انظر: عبد الله عامر فالح (معجم ألفاظ العقيدة) ص٨٠-٨٨.الناشر: مكتبة العبيكان

(٤) المصدر السابق نفس الصحيفة.

ثم يقال لهؤلاء المؤولة –بما فيهم مؤلف الكتاب (المتولي الشافعي) ما هو دليلكم الذي خولكم صرف المعنى من الحقيقة إلى المجاز لتنساقوا وراء عقولكم بتأويل صفة اليد للباري –جل وعلا– بالقدرة أو النعمة "وهذا باطل من وجوه (أحدهما) أن الأصل الحقيقة فدعوى المجاز مخالفة للأصل.(الثاني) إن ذلك خلاف الظاهر اتفق الأصل والظاهر[١] على بطلان هذه الدعوى.

(الثالث) إن مدعي المجاز المعين يلزمه أمور:(أحدهما) إقامة الدليل الصارف عن الحقيقة إذ إن مدعيها معه الأصل والظاهر،ومخالفها مخالف لهما جميعاً. (ثانيهما) بيان احتمال اللفظ لما ذكره من المجاز لغةً وإلا كان منشئاً من عنده وضعاً جديداً.(ثالثها) احتمال ذلك المعنى في هذا السياق المعين؛ فليس كل ما احتمله اللفظ من حيث الجملة يحتمله هذا السياق الخاص. (رابعها) بيان القرائن الدالة على المجاز الذي عينه بأنه المراد، إذ يستحيل أن يكون هذا هو المراد من غير قرينة في اللفظ تدل عليه البتة"[٢].

ومما يدل على بطلان تأويل صفة اليد للباري –جل وعلا– بالقدرة أو النعمة، وإثبات صفة اليد الحقيقية والتي تليق بجلاله وعظمته –سبحانه وتعالى– وصفها في نصوص كثيرة بالقبض والبسط والطي والإمساك باليد وبالإصبع.فهذه الأوصاف جميعها تدل دلالة قاطعة لاشك فيها على إثبات صفة اليد للحق –سبحانه وتعالى– من دون تأويل.. قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[٣].وقوله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾[٤].

(١) أي في حقيقة صفة اليد للحق سبحانه وتعالى.

(٢) ابن قيم الجوزية (مختصر الصواعق المرسلة) تحقيق سيد إبراهيم ص٣٧.الناشر: دار الحديث القاهرة.

(٣) الزمر آية ٦٧ .

(٤) سورة المائدة آية ٦٤ .

"عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنها عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السماوات بيمينه ثم يقول:أنا الملك، رواه سعيد عن مالك"(١) وورد في صفة الإصبع للباري جل وعلا: "عن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها حيث شاء"(٢).

ثم اقترن لفظ الطي والقبض والإمساك حقيقة، هذا في الفعل، وهذا في الصفة؛ بخلاف اليد المجازية؛ فإنها إذا أريدت لم يقترن بها ما يدل على اليد حقيقة.بل ما يدل على المجاز كقوله: "له عندي يد، وأما إذا قيل: قبض بيده، وأمسك بيده وعمله بيمينه أو بيده؛ فهذا لا يكون إلا حقيقة.وإنما أتى هؤلاء من جهة أنهم رأوا اليد تطلق على النعمة والقدرة، في بعض المواضع؛ فظنوا أن كل تركيب وسياق صالح لذلك؛ فوهموا وأوهموا"(٣)

ويؤمن أهل الحق –أهل السنة والجماعة– بإثبات ظواهر النصوص لصفات الباري جل وعلا سواء أكانت صفة ذات أو صفة فعل –بما فيها اليد– والإيمان بحقيقة كل صفة للحق –جل وعلا– والتي قد وردت إلينا بنص صحيح من الكتاب الكريم ومن السنة النبوية المطهرة من غير تأويل(٤) ونفي "الكيف

---

(١)الحديث صحيح انظر: صحيح البخاري مع الفتح للحافظ بن حجر ج١٣ ص٣٩٣ باب قول الله تعالى (لما خلقت بيدي) برقم ٧٤١٢.الناشر: دار المعرفة بيروت.

(٢)الحديث صحيح انظر:صحيح مسلم بشرح النووي ج١٦ ص٢٠٣-٢٠٤ كتاب القدر باب تصريف الله القلوب.

(٣) ابن قيم الجوزية (مختصر الصواعق المرسلة) تحقيق سيد إبراهيم ص٣٧٢.الناشر: دار الحديث القاهرة.

(٤) سبق تعريفه في الفصل الثاني من هذا البحث.

والمثيل والشبيه والنظير"[١] عن ذاته سبحانه وتعالى، والإيمان بأنها صفات الكمال المطلق البريئة من كل نقص والتي تليق بذاته سبحانه وتعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ﴾[٢]

المبحث الثاني: (تأويله لصفة العينين،عرض ونقد)

وقد قال المتولي الشافعي بتأويل صفة العينين للباري –جل وعلا– بأنها أعين المياه التي انفجرت من الأرض، وأن إضافتها إليه سبحانه على سبيل الملك، وهو بذلك قد خالف شيوخه المتقدمين من الأشعرية المثبتين لهذه الصفة للباري جل وعلا.

يقول: "أما قوله تعالى: "تجري بأعيننا" فالمراد به الأعين التي انفجرت من الأرض.وإضافته إلى الله سبحانه على سبيل الملك"[٣].

وقد وردت صفة العينين للحق جل وعلا في نصوص كثيرة من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة.منها:

قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ ﴾[٤].

﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝ ﴾[٥].

---

(١) سبق تعريف هذه الألفاظ في مقدمة البحث.

(٢) الشورى آية ١١ .

(٣) "الغنية في أصول الدين" ص١١٤ .

(٤) الطور آية ٤٨ .

(٥) القمر آية ١٤،١٣ .

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾[1].

ومعنى قوله تعالى: "فإنك بأعيننا" "أي:أنا نراك وأنت على مرأى منا، ولاتغيب عن نظرنا فسنحفظك،ففيه إثبات أنه بمرأى من الله، فأثبت لنفسه العين وجمعها للتعظيم"[2].

"تجري بأعيننا" أي:أن السفينة التي كانت تحمل نوحاً ومن آمن معه على الماء وهي تحت نظر الله وبمرأى منه جل وعلا.

"ولتصنع على عيني" يخبر سبحانه بمحبته لنبيه موسى –عليه السلام– محبة خاصة.لذلك فقد ربي على مرأى منه سبحانه ومرقب"[3].

وليس في قوله تعالى: "على عيني" دليل على أن الله سبحانه عيناً واحدة.بل المقصود بذلك جنس العين لا عددها، لأن ورودها بصيغة الجمع للتعظيم، وورودها بصيغة الإفراد للجنس يعني جنس العين لا عددها".

وقد وردت صفة العين في السنة في قصة المسيح الدجال من حديث عبد الله ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لايخفى عليكم إن الله ليس بأعور. وأشار بيده وأشار إلى عينه وأن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية"[4] ،[5].

---

(١) طه آية ٣٩.

(٢) انظر: الشيخ عبد الله بن جبرين (التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية) بإشراف أبو أنس أبو لوز ج١ ص١٧٦ الناشر دار الوطن بالرياض.

(٣) انظر:المرجع السابق ص١٧٧-١٧٨.

(٤) هي الحبة التي خرجت عن حد نبتة أخواتها، فظهرت من بينها وارتفعت، وقيل: أراد بها الحبة الطافية على وجه الماء، شبه بها عينه، انظر: ابن الأثير "النهاية في غريب الأثر" ٣/١٣٠.

(٥) الحديث صحيح انظر: صحيح البخاري (باب ذكر الدجال) ج١٦ ص٢٠٤ ، صحيح مسلم بشرح النووي في باب ذكر الدجال ج١٨ ص٥٩-٦٠.

"ومن المعروف من نهج السلف أنهم حينما يثبتون الصفة لله تبارك وتعالى عند ورود النص بها، فإنما يثبتونها على معناها الظاهر المتبادر منها؛ مع نفي التشبيه والمماثلة بين صفات الله وصفات خلقه وبيانه صلى الله عيه وسلم للعلامة التي تعرف بها الدجال حين ادعائه الألوهية وهي وجود نقص فيه منزه ربنا سبحانه عنه؛ وهو أنه أعور عينه اليمنى؛ فإن المتبادر إلى الذهن لأول مرة أن الله تبارك وتعالى له عينان خلافاً للدجال الذي عورت عينه اليمنى، والعور المعروف في اللغة هو ذهاب حس إحدى العينين(١) وإثباتنا لذلك إنما هو إثبات وجود وكمال لا إثبات تشبيه"(٢).

وأما إشارته –عليه السلام– بيده إلى عينه –وهو يخبر عن عور المسيح الدجال– فإنما تفيد تأكيد المعنى الحقيقي للعين على ما يليق بالله تعالى ولا يفهم منها أن عينه سبحانه كأعيننا. بل له سبحانه وتعالى عين حقيقية تليق بعظمته وجلاله وقدمه، وللمخلوق عين حقيقية تناسب حاله وحدوثه وضعفه وليست الحقيقة كالحقيقة. وهذا شأن جميع الصفات التي فيها المشاركة اللفظية مع صفات المخلوق"(٣).

---

(١) القاموس المحيط ٢: ٩٧، لسان العرب ٤: ٦١٢ .

(٢) د/ أحمد الغامدي (البيهقي وموقفه من الإلهيات) ص٢٤٤ الناشر: مكتبة العلوم المدينة المنورة. ر: دار الوطن الرياض.

(٣) انظر: د/ محمد أمان الجامي (الصفات الإلهية في الكتاب والسنة) ص٣١٩ الناشر: دار التقوى بلبيس.

المبحث الثالث: تأويله لصفة الوجه (عرض ونقد)

صفه الوجه للباري –جلّ وعلا– من صفات الذات الخبرية، وقد ثبتت بنصوص صريحة من الكتاب والسنة .. وقد أول (المتولي الشافعي) صفة الوجه على معنى الوجود تارة، وعلى معنى الجهة تارة أخرى.يقول نصه:

"ومنهم من أنكر أن تكون هذه الصفات زائدة على مادل عليه العقل.وصار إلى أن العين محمول على البصر والوجه على الوجود واليد على القدرة..."[1].

ثم يقول: "والمراد بالوجه الجهة التي يراد بها القرب إلى الله سبحانه، كما يقال فعلت كذا لوجه الله سبحانه خالصاً لله، فيكون معناه أن كل عمل ما أريد به وجه ربك يحبطه ويبطله"[2].

والأدلة صريحة على إثبات صفة الوجه للحق سبحانه وتعالى، ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[3].

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾[4].

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن"[5].

---

(١) الغُنية في أصول الدين ص١١٣.

(٢) المصدر السابق ص١١٤.

(٣) الرحمن آية ٢٧.

(٤) الكهف آية ٢٨.

(٥) الحديث صحيح ؛ أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة" رقم ٧٤٤٤.

وقوله عليه الصلاة والسلام عن ربه: "حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ماانتهى إليه بصره من خلقه"[١].

وقد أول المتولي الشافعي صفة الوجه بالوجود في النص الأول –كما سبق ذكره– ولا أدري ماذا يقصد بتأويله هذا ؟! هل يقصد أن صفة الوجه هي صفة الوجود[٢] أو يقصد بها صفة الذات؟! فكان حديثه مقتضبًا ولم يوضح ما يريد قوله ولم يأت بأدلة عقلية أو نقلية على ما ذكر.إنما كان مجرد رأي له لا أكثر!!

وفي قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[٣].

"صريحة في إثبات صفة الوجه، صراحة لاتدع مجالاً لمتأول، لأن الله تبارك وتعالى أضاف الوجه إلى الذات، ثم وجه النعت إلى الوجه. ولو كان الأمر كما قال هؤلاء المؤولون من أن الوجه هو الذات فيكون صلة لاصفة لقال بعد ذلك "ذي الجلال" إلا أن رفعه لكلمة "ذو" يدل على أنه نعت للوجه وأن الوجه صفة الله تبارك وتعالى "ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" فأضاف الوجه إلى الذات وأضاف النعت إلى الوجه فقال: "ذو الجلال والإكرام" ولو كان ذكر الوجه صلة، ولم يكن للذات صفة لقال "ذي الجلال والإكرام" فلما قال: "ذو الجلال والإكرام" علمنا أنه نعت للوجه، وهو صفة للذات"[٤].

وهذا هو مذهب الإشعري[٥] أيضاً حيث قال: "من سألنا فقال: أتقولون إن الله سبحانه وجهاً؟ قيل له: نقول ذلك خلافاً لما قاله المبتدعون، وقد دل على ذلك قوله عز وجل:"ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام"[٦].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي كتاب الإيمان باب قوله عليه الصلاة والسلام: "إن الله لا ينام" رقم١٧٩

(٢) والمعلوم بأن صفة الوجود لم يكن ينكرها أحد من أهل القبلة.

(٣) الرحمن آية ٢٧ .

(٤) الإمام البيهقي (الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد)ط١،١٤٠١هـ بيروت ، دار الافاق الجديدة ، تحقيق: أحمد عصام الكاتب ، ص ٨٨ .

(٥) لترجمته انظر مقدمة هذا البحث.

(٦) أبو الحسن الأشعري (الابانه في أصول الديانة) تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط.ط١ ص٩٦، ٩٧ الناشر: مكتبة دار البيان دمشق.

ثم "إنه لا يعرف في لغة من لغات الأمم وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه"[١].

ثم "إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو في دعائه "أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك"[٢] ولم يكن ليسأل لذة النظر إلى الثواب ولا يعرف تسمية ذلك وجهاً لغة ولا شرعاً ولا عرفاً"[٣].

"إن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وجميع أهل السنة والحديث والأئمة الأربعة، وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة وهي الزيادة التي فسر بها النبي ﷺ والصحابة ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[٤]. فروى مسلم في صحيحه بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة" قال: "النظر إلى وجه الله تعالى"[٥] فمن أنكر حقيقة الوجه لم يكن للنظر عنده حقيقة.

ثم إنه حيث ورد فإنما ورد مضافاً إلى الذات في جميع موارده والمضاف إلى ربه تعالى نوعان: أعيان قائمة بنفسها؛كبيت الله.وناقة الله.وروح الله.وعبد الله. ورسول الله –فهذا إضافة تشريف وتخصيص وهي إضافة مملوك إلى مالكه.. والثاني صفات لا تقوم بنفسها؛كعلم الله وحياته وقدرته وعزته وسمعه وبصره ونوره وكلامه، فهذه إذا وردت مضافة إليه فهي إضافة صفة إلى الموصوف بها،

---

(١) الإمام ابن قيم الجوزية (الصواعق المرسلة) تحقيق: سيد إبراهيم ط دار الحديث القاهرة ص٣٨٨ .

(٢) الحديث صحيح ، أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٩/٥، والنسائي في "الهداية" ٥٤/٣ .

(٣) الإمام ابن قيم الجوزية (الصواعق المرسلة) ص٣٨٩.

(٤) يونس آية ٢٦ .

(٥) الحديث صحيح ،أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان ٢٩٧/١ ص٣٨٩ .

وإذا عرف ذلك فوجهه الكريم وسمعه وبصره إذا أضيف إليه وجب أن تكون إضافته إضافة وصف لا إضافة خلق..."[١].

وكما أسلفنا، فقد أول المتولي الشافعي "صفة الوجه بالجهة التي يراد بها القرب إلى الله تعالى"[٢]

ولا أعلم من أين أتى بهذا التأويل أو التفسير؟! فهل سمعنا أن في لغة العرب من يفسر الوجه بالجهة !! وحتى أن المتولي الشافعي لم يستدل بقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ [٣]﴾ "وهذا لايتعين حمله على القبلة والجهة، ولا يمتنع أن يراد به وجه الرب حقيقة، فحمله على غير القبلة كنظائره... كما أنه لا يعرف إطلاق وجه الله تعالى على القبلة لغة ولا شرعاً ولا عرفاً.بل القبلة لها اسم يخصها، والوجه له اسم يخصه، فلا يدخل أحدهما على الآخر، ولا يستعار اسمه له. نعم القبلة تسمى وجهة كما قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ ﴾[٤] وقد تسمى جهة وأصلها وجهة.. كزنة وعدة.وإنما سميت قبلة ووجهة لأن الرجل يقابلها ويواجهها بوجه، وأما تسميتها وجهاً فلا عهد به"[٥].

(١) ابن قيم الجوزية (الصواعق المرسلة) ص٣٩١ .

(٢) الغُنية في أصول الدين ص١١٤.

(٣) البقرة آية ١١٥ .

(٤) البقرة آية ١٤٨ .

(٥) ابن القيم (الصواعق المرسلة) ط دار الحديث القاهرة ص٣٩٢.

المبحث الرابع: (تأويله صفة النور ،عرض ونقد) :

صفة النور من صفات الحق- جل وعلا- التي نطقت بها نصوص الكتاب والسنة.. قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

وفي الحديث: "إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لاحترقت سبحات وجه ما انتهى إليه بصره من خلقه"[2].

وقد أول المتولي الشافعي (صفة النور) وذكر بأن معناها نور السماوات والأرض أو هادي أهل السماوات والأرض.يقول ما نصه:

"قوله تعالى: "الله نور السماوات والأرض" ومعناها منور السماوات.وقيل: هادي أهل السماوات والأرض"[3]

ويصور لنا الإمام ابن القيم هذا التأويل بقوله: "ومن أسمائه النور.وقالت المعطلة ذلك مجاز؛ معناه منور السماوات والأرض بالنور المخلوق؛ قالوا ويتعين المجاز لأن كل عاقل يعلم بالضرورة أن الله تعالى ليس هو هذا النور المبسط على الجدران، ولا هو النور الفائض من جرم الشمس والقمر والنار، فإما أن يكون مجازه منور السماوات، أو هادي أهلها.

وبطلان هذا يتبين بوجوه:

---

(١) سورة النور آية ٣٥ .

(٢) الحديث صحيح، أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ١/٢٩٥،٢٩٣ من حديث أبي موسى .

(٣) ص١١٤ .

الأول: أن النور جاء في أسمائه تعالى، وهذا الاسم مما تلقته الأمة بالقبول وأثبتوه في أسمائه الحسنى، ولم ينكره أحد من السلف ولا أحد من أئمة أهل السنة، ومحال أن يسمي نفسه نوراً، وليس له نور ولا صفة النور ثابتة له، كما أن من المستحيل أن يكون عليماً قديراً سميعاً بصيراً.[1] ولا علم ولا قدرة، بل صحة هذه الأسماء عليه مستلزمة لثبوت معانيها له، وانتفاء حقائقها عنه مستلزم لنفيها عنه، والثاني باطل قطعاً فتعين الأول.

الوجه الثاني: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله أبو ذر هل رأيت ربك؟ قال: "نور أنى أراه" رواه مسلم في صحيحه[2] وفي الحديث قولان، أحدهما: أن معناه:ثم، أي:فهناك نور منعني رؤيته.

الثاني: أنه سبحانه نور فلا يمكن رؤيته، لأن نوره الذي لو كشف الحجاب عنه لأحرقت السماوات والأرض وما بينهما مانع من رؤيته، فإن كان المراد هو المعنى الثاني فظاهر، وإن كان الأول فلا ريب أنه إذا كان النور الحجاب مانعاً من رؤية ذاته فنور ذاته سبحانه أعظم من نور الحجاب، بل الحجاب إنما استنار بنوره، فإن نور السماوات إذا كان من نور وجهه... وهل يعقل أن يكون النور حجاب من ليس له نور، وهذا أبين المحال"[3].

---

(١) ولا يخفى أن القاعدة السلفية والتي تتضمن أنه يشتق من كل اسم ثابت لله تعالى صفة ولا عكس .

(٢) الحديث صحيح، كتاب الإيمان برقم ٢٦٢، مسند أحمد مسند الأنصار ٢٠٤٢،سنن الترمذي.كتاب تفسير القرآن رقم ٣٢٠٤ .

(٣) الإمام بن قيم الجوزية . مختصر الصواعق المرسلة.تحقيق:سيد إبراهيم.الناشر:دار الحديث القاهرة ص٣٩٩،٣٩٨ .

ثم يقال: "هذا يرد عليكم لا يختص بمن يسميه بما سمي به نفسه وبينه، فأنت إذا قلت: (هاد) أو (منور) أو غير ذلك: فالمسمي نوراً هو الرب نفسه، ليس هو النور المضاف إليه. فإذا قلت: (هو الهادي فنوره الهدى) جعلت أحد النورين عيناً قائمةً، والآخر صفة، فهكذا يقول من يسميه نوراً"(١).

"وقول من قال: هادي أهل السماوات والأرض لا يمنع أن يكون في نفسه نوراً .. ولا ينافي ذلك ثبوت بقية الصفات للمسمى، بل قد يكونان متلازمين"(٢).

فقول من قال: "نور السماوات والأرض" هادي أهل السماوات والأرض كلام صحيح، فإن من معاني كونه نور السماوات والأرض أن يكون هادياً لهم، وقد أخبر الله –سبحانه– في كتابه أن الأرض تشرق بنور ربها(٣)، فإذا كانت تشرق من نوره كيف لو يكون هو نوراً ؟ ولا يجوز أن يكون هذا النور المضاف إليه إضافة خلق وملك واصطفاء كقوله (ناقة الله) ... ثم إن الأنوار المخلوقة كالشمس والقمر تشرق لها الأرض في الدنيا، وليس من نور إلا وهو خلق من خلق الله تعالى، وكذلك من قال: منور السماوات والأرض لا ينافي أنه نور وكل منور نور، فهما متلازمان"(٤)

إذاً.فخلاصة القول بأن من قال بأنه –سبحانه وتعالى– منور السماوات والأرض أو هادي أهل السماوات والأرض.وأن ذلك القول مشتق من كونه –تعالى– نور السماوات والأرض كما ورد في الكتاب والسنة.وأن النور صفة من صفاته –تعالى– فقوله صحيح موافق لمنهج السلف الصالح .

---

(١) ابن تيمية مجموع الفتاوى.ط مكتبة المعارف المغرب ج٦ ص٣٨٨ .

(٢) المصدر السابق ص٣٩٠ .

(٣) قال تعالى: "وأشرقت الأرض بنور ربها" الزمر آية ٦٩ .

(٤) المصدر السابق ص٣٩٢،٣٩١ .

أما وإن قال ذلك وفي مقصده إنكار صفة النور للحق!! جلّ وعلا ، بل وتأويله إلى ألفاظ ومعاني أخرى فإنه قد حاد عن منهج أهل الحق!! بحسب مراده من قوله، والله المستعان.

المبحث الخامس: (تأويله صفة الساق ،عرض ونقد) :

صفة الساق للحق –جلّ وعلا– من الصفات الذاتية يقول الله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[(١)].

روى الشيخان (البخاري ومسلم) وغيرهما حول هذا المعنى في هذه الآية الكريمة:

ففي صحيح البخاري: " عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة،فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً"[(٢)].

وفي حديث آخر طويل أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري: "يكشف الله عن ساقٍ، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه، إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياء، إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد، خر على قفاه"[(٣)]

أيضاً: أخرج الإمام الدارمي في سننه من حديث أبي هريرة –مرفوعاً– "فيكشف لهم عن ساقه فيقعون سجوداً، وذلك قول الله تعالى: "يوم يكشف عن ساق

(١) القلم آية ٤٢ .

(٢) الحديث صحيح انظر: صحيح البخاري مع الفتح كتاب التفسير باب (يوم يكشف عن ساق) ٨/ ٦٦٣-٦٦٤ حديث رقم ٤٦٣٥،٤٩١٩ .

(٣) الحديث صحيح، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٣/ ٢٥-٣٤ كتاب الإيمان.

ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون" ويبقى كل منافق فلا يستطيع أن يسجد، ثم يقودهم إلى الجنة"(١)

إذا فلا ريب بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد شرح وفسر معنى لفظ (الساق) النكرة في الآية الكريمة السابقة في هذه الأحاديث الصحاح والتي اتفقت في تأييد (صفة الساق) للباري جلّ وعلا ساقاً تليق به من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل كما قال تعالى:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ﴾(٢).فليس بعد بيانه وتفسيره – عليه الصلاة والسلام– بيان ولا تفسير.

ولكن المتولي الشافعي–رحمه الله– في كتابه ـ والذي نحن بصدد الرد عليه ـ أوّل صفة الساق بالتنبيه على أهوال يوم القيامة يقول: "ومنها قوله تعالى: "يوم يكشف عن ساق" والمراد به التنبيه على أهوال يوم القيامة كما يقال:قامت الحرب على ساقها أي:على شدتها"(٣).

أما شيخ الإسلام ابن تيمية(٤) فقد ذكر في الفتاوى مانصه: "وتمام هذا أني لـــــم أجدهم تنازعوا إلا في مثل قوله تعالى: "يوم يكشف عن ساق" فروى عن ابن عباس

---

(١) الحديث صحيح: انظر: سنن الدارمي كتاب الرفاق باب (في سجود المؤمنين يوم القيامة) حديث رقم ٢٨٩٦، والحديث صحيح ومتفق عليه، تحقيق فواز زمرلي وخالد السبع ٢/ ٤٢٠-٤٢١ ، ط سنة ١٤٠٧هـ الناشر: دار الكتاب العربي بيروت.

(٢) الشورى آية ١١.

(٣) ص١١٥.

(٤) هو:الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني ولد بحران في العاشر من شهر ربيع الأول سنة ٦٦١هـ هاجر به والده إلى دمشق عندما أغار التتار على بلاد الإسلام كان من أسرة نزعت إلى العلم وتوارثته فقد حفظ القرآن الكريم والحديث واللغة والفقه فلم يترك

وطائفة أن المراد به الشدة، إن الله يكشف عن الشدة في الآخرة[١]، وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوها في الصفات، للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين. ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات فإنه قال: "يوم يكشف عن ساق" نكرة في الإثبات لم يضفها إلى الله تعالى، ولم يقل عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر" [٢]

أما تلميذه ابن قيم الجوزية –رحمها الله– فيوضح هذا الرأي ويجمع في ذلك بين الآية الكريمة والأحاديث الصحيحة ويبين أن تنكير الساق في الآية الكريمة إنما هو للتعظيم والتفخيم.يقول:

"والذين أثبتوا ذلك صفة كاليدين لم يأخذوا ذلك من ظاهر القرآن، إنما أثبتوه بحديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته، وهو حديث الشفاعة الطويل. وفيه "فيكشف الرب عن ساقه، الحديث" ومن حمل الآية على ذلك قال قوله تعالى: "يوم يكشف عن ساق" مطابقاً لما قال صلى الله عليه وسلم "يكشف عن ساقه" وتنكيره للتعظيم والتفخيم كأنه قال يكشف عن ساق عظيمة ؛ قالوا

باباً من أبواب العلم إلا أتقنه.زادت مصنفاته عن المائة.توفي عام ٧٢٨هـ رحمه الله تعالى. انظر: د/ عبد الرحمن الفريوائي (بحوث عن شيخ الإسلام ابن تيمية) ط١ الناشر: دار الصميعي الرياض.

(١) الحديث صحيح، أخرجه البخاري .كتب التفسير . باب (يوم يكشف عن ساق) . المكتبة السلفية . ٣/ ٣٥١. وأحرجه مسلم بدون إضافة الساق له – تعالى – .كتاب الإيمان . باب (٨١) معرفة طريق الرؤية . ت: محمد فؤاد عبد الباقيّ. المكتبة الإسلامية . ١/ ١٦٨.

(٢) يريد بذلك الحديثين الصحيحين اللذين وردا في البخاري ومسلم، انظر: الفتاوى ٦/ ٣٩٤ الناشر: مكتبة المعارف الرباط المغرب .

وحمل الآية على الشدة لايصح بوجه، فإن لغة القوم أن يقال: كشفت الشدة عن القوم لا كشفت عنها، كقوله تعالى: "فلما كشفنا عنهم العذاب" فالعذاب هو المكشوف لا المكشوف عنه.وأيضاً فهناك تحدث شدة لا تزول إلا بدخول الجنة.وهنا لا يدعون إلى السجود، وإنما يدعون إليه أشد ما كانت الشدة"[١].

وتأسيسا على ما سبق: فإن " من فسر الآية بهذا المعنى فقد أخذ بما يحتمله لسان العرب، ولم يخرج عن ظاهر الآية، حتى من أثبت من الآية الصفة لله تعالى، لا ينفي أن الله تعالى يكشف عن ساقه الكريمة الجليلة في ساعة شدة وهول، والناس وقوف بين يدي ربهم، ينتظرون الفرج وكشف الهول، فلا يجوز أن يقال: إن من حمل الآية على الشدة مذهبه تعطيل هذه الصفة لله تعالى، ولا يجوز له أن يؤول الآية بما يقتضي عدم إظهار صفة لله تعالى، هذا لا يقال في سلف الأمة، كيف وقد جاء عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة –رضي الله عنهما– أنهما فسرا الآية: فقالا: "يكشف ربنا عن ساقه" مثبتة هذه الصفة لله عز وجل؟! وهذا يدل على أن السلف الصالح –جميعاً– يثبتون هذه الصفة"[٢].

المبحث السادس: (تأويله صفة القدم،عرض ونقد) :

كما هو معلوم من مذهب (أهل السنة والجماعة) بأن صفة القدم من صفات المولى –جل وعلا– الذاتية بأدلة صريحة من السنة النبوية المطهرة.

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة تحقيق سيد إبراهيم ص٣٨.الناشر: دار الحديث القاهرة.

(٢) محمد نصر (صفة الساق لله تعالى بين إثبات السلف وتعطيل الخلف) الناشر: مكتبة الغرباء. المدينة المنورةص٢٦ .

يقول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾[(١)].

وقد وردت الأحاديث الصحيحة في تفسير هذه الآية الكريمة والتي تفيد أن الله –سبحانه وتعالى– وعد الجنة أن تمتلئ بالمؤمنين الموحدين، كما وعد النار أن تمتلئ بالعصاة والكفرة الملحدين –والعياذ بالله– لذا ؛فالنار على عمقها واتساعها .. كلما قذف منها قوم يقال لها: هل امتلأت فتقول هل من مزيد؟ أي أنها تريد المزيد من هؤلاء العصاة والكفرة والمنافقين.وحيث ينتهي عدد الخلق والذين كتب عليهم أن يقذفوا بها –والعياذ بالله منها ومنهم– ولم تمتلئ؛ فيضع الله سبحانه وتعالى رجله فيها فتنزوي النار بعضها إلى بعض وتتلاقى أطرافها ولا يبقى بها متسع عن أهلها فينطقها الله فتقول: قطْ قطْ أي كفاني كفاني[(٢)].

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اختصمت الجنة والنار إلى ربهما فقالت الجنة:يارب مالها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس وسقطهم،وقالت النار:يعني أوثرت بالمتكبرين ؛فقال الله تعالى للجنة:أنت رحمتي،وقال للنار:أنت عذابي أصيب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها.قال فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً وإنه ينشئ للنار من يشاء فيقولون فيها.فتقول:هل من مزيد ثلاثاً حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ ويرد بعضها إلى بعض وتقول:قط قط قط"[(٣)].

---

(١) سورة ق~ آية ٣٠ .

(٢) انظر: النووي شرح مسلم ١٧/ ١٦٢ .

(٣) الحديث صحيح انظر:صحيح البخاري مع الفتح ٨/ ٥٩٥ رقم ٤٨٤٩ كتاب التفسير سورة ق ، وللفظ له، أيضاً: أخرجه مسلم في صحيحه ٨/ ١٥٢ كتاب صفة الجنة وباب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

"عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد.حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول:قط قط وعزتك، ويزوي بعضها إلى بعض، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله خلقاً فيسكنه فضول الجنة"(١).

والمتولي الشافعي ـ كعادته ـ في تأويلاته للصفات،والتي هي محور هذا البحث فقد أول القدم بالجبار من عباده !! واستدل بآيتين فسرهما حسب فهمه هو... يقول:

"ومنها ماروي أن الجبار يضع قدمه في النار فتقول:قط.فالمراد بالجبار:المتجبر من العباد.والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾(٢).

والدليل عليه أن الله تعالى أخبر عن الأصنام أنهم يدخلون النار في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾(٣) ثم استدل على نفي الإلهية عنهم بدخولهم النار.فقال: ﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾(٤).فمن زعم أن الباري له قدم يضعها في النار فقد أبطل هذه الدلالة وسوى بينه وبين الأصنام"(٥).

---

(١) الحديث صحيح ، أخرجه مسلم في صحيحه ٨/ ١٥١ كتاب الجنة: باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

(٢) سورة غافر آية ٣٥ .

(٣) الأنبياء آية ٩٨ .

(٤) الأنبياء آية ٩٩ .

(٥) الغنية في أصول الدين ص١١٦.

وقد بحثت في السنة النبوية حول هذا المعنى[١] لكلمة الجبار الوارد في الصحيحين فلم أجد لها ما يوافق تفسيره، فمن أين ياترى أتى بها المتولي الشافعي؟ !! حتى يستنبط منها دعواه أو دليله بأنه أي الجبار معناه (المتجبر على العباد) وحتى لو فرض –جدلاً– بوجود هذا اللفظ (الجبار) في النص فإن الاشتراك بين الخالق جل وعلا وبين المخلوق في اللفظ فقط، وكما هو معلوم فصفات المخلوق محدودة بعتبات حواسه، والخالق العظيم –سبحانه وتعالى– له صفات الكمال المطلق "ليس كمثله شيء".

أما الاستدلال المؤلف بالدليل الثاني فهو أغرب من الاستدلال بالأول!! فهو –سبحانه– يخبر عن المشركين في الآية الكريمة ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ [٢]﴾ أي كالحطب أو ما يرمى فيها لتزداد تهيجاً وضراً [٣]، فما علاقة هذا بما ورد في الأحاديث الصحيحة بأنه –تعالى– يضع قدمه في النار حتى تنزوي وتضيق بأهلها –والعياذ بالله– ولا يبقى بها متسع وبذلك يتحقق وعد الله –تعالى– بها بالامتلاء،فهل تضره –سبحانه وتعالى– النار حين يضع قدمه فيها؟!! وهي خلق من مخلوقاته وهو –سبحانه القوي

---

(١) انظر CD الحديث الشريف والذي يحوي الكتب التسعة (البخاري ومسلم والترمذي والنسائي، وأبي داود، وابن ماجه ومسند أحمد، وموطأ مالك وسنن الترمذي).

(٢) الأنبياء آية ٩٨ .

(٣) انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية لمحمد إسماعيل، الناشر دار الفكر العربي.مادة حصب ص١٢٦ .

العزيز الجبار المتكبر "سبحان الله عما يصفون". "... بل الذي عليه سلف هذه الأمة وهم أعلم وأدق وأقدم أن قدم الله -تعالى- ووجهه ويده وعينه وأصابعه -سبحانه- ومافي معناها من هذه الصفات الخبرية صفات لله على ما يليق به سبحانه، ... ولا نعلم عن كنهها شيئاً، بل آمنّا بها على مراد الله -تعالى- ومراد رسوله -صلى الله عليه وسلم- من حيث الحقيقة والكنه، ومعنى الكلمة معلوم والكيف مجهول،والبحث عن الكيفية بدعة"[1]

ولعله من المناسب ونحن نرد على من تأول هذه الصفة أن نشير إلى أن هناك من قال: " بأن المراد بالقدم هنا:المتقدم.ومعناه:حتى يضع الله تعالى فيها ما قدمه لها من أهل العذاب!! وأنت تلاحظ أن هذا التأويل التقليدي لم يمكنهم من الانتباه لضميره (قدمه) أو رجله وأن الذي لا يختلف فيه أهل العلم أن الإضافة تخصص الصفة للموصوف بمعنى إذا قلنا: علم الله وقدرة الله مثلاً فلا يشترك علم المخلوق أو قدرته في علم الله المختص بالإضافة بأي نوع من أنواع المشاركة وكذلك قدرته، لأن الاشتراك لا يقع إلا في المطلق الكلي غير المختص لا بالمخلوق ولا بالخالق، وكذلك يقال هنا لأن القدم لم ترد إلا مضافة مختصة ولا يشترك معها شيء من أقدام خلقه، ولا مشابهة بينهما - هذا التأويل الذي تورط فيه أتباع الفلاسفة لم يفطن لهذا المعنى، وعدم التفطن لهذا المعنى هو سر تخبطهم في جميع الصفات الخبرية والفعلية وهي قاعدة لو علموها لعالجت لهم جميع مشاكلهم وقضت على تخبطاتهم الكثيرة"[2].

---

(١) انظر: د/محمد أمان الجامي (الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية) الناشر: دار التقوى بلبيس ص٣٢٤ .

(٢) انظر: المصدر السابق ص٣٢٣ .

المبحث السابع: (تأويله صفة الصورة،عرض ونقد) :

الصورة من الصفات الذاتية للحق –جل وعلا– أي أن له –تعالى– صورة لا كالصور، صورة تليق بجلاله وعظمته "ليس كمثله شيء" ثبتت له صفة الصورة بنصوص صريحة في أحاديث صحيحة رواها الشيخان وغيرهما..

"عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً"[(١)].

"عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:إذا قاتل أحدكم أخاه فليتجنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته"[(٢)].

"عن أبي هريرة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن"[(٣)].

ولا شك بأن الأحاديث الصحيحة السابقة تثبت أمرين مهمين.هما:

أولا: ثبوت صفة الصورة للحق–جل وعلا– والمراد بالصورة الصفة والمعنى أن الله تعالى خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر،وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء .

وثانيا: كون آدم عليه السلام خلق على صورته–سبحانه وتعالى–حيث أني لم أوثق في دراستي هذه إلا الصحيح من الأحاديث، إلا أن هناك خلافاً في عودة

---

(١) الحديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاستئذان باب بدء السلام ١١/٣ ح١٢٢٧،ومسلم في صحيحه كتاب الجنة ٤/٢١٨٣ ج٢٨،أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢١٥ .

(٢) الحديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة ٤/٢٠١٧ ج١١٥، وأحمد في مسنده ٢/ ٥١٩،٤٦٣ .

(٣) الحديث صحيح، أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة ١/٢٦٨ ص٤٩٨ ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة ١/٢٨٨–٥١٨ .

الضمير في قوله: (صورته) يعود على من ؟! فمن أراد التأويل وصرف هذه الصفة عن ظاهرها الحقيقي الصريح، فقد قال بعودة الضمير إلى أبينا آدم – عليه السلام– أو بعودته إلى الشخص المقاتل أو المضروب ومن هؤلاء (المتولي الشافعي) غفر الله لنا وله.يقول:

"ومنها ماروي أن الله خلق آدم على صورته" فهذا بعض الخبر وله سبب وهو ماروي "إن رجلاً كان يلطم وجه عبد له فنهاه رسول الله ﷺعن ذلك وقال:لا تلطم وجهه فإن الله تعالى خلق آدم على صورته"[1] يعني:صورة الغلام.

وقيل: "إنها كناية راجعة إلى آدم نفسه ومعناه خلقه بشراً سوياً من غير والد ووالدة ومن غير أن كان نطفة وعلقة بل صورة ابتداء، وخلقه على تلك الصورة"[2].

قلت: إن نصوص الأحاديث الشريفة –السالفة الذكر– يعضد بعضها بعضاً في ثبوت صفة الصورة للحق –جل وعلا– وخاصة إن النص الثالث يقطع الشك باليقين لقوله: "فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن" فلا مفر من الإقرار بثبوت عودة الضمير في (صورته) إلى الحق جل وعلا..

وقد رد الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله– على هذا التأويل بقوله: "من قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه"[3].

---

(١) الحديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب العتق.باب إذا ضرب العبد فليتجنب الوجه : ١٢٨ ج٢٥٥٩.

(٢) الغُنية في أصول الدين ص١١٦-١١٧.

(٣) (المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة) ط١ ١٤١٢هـ تحقيق: عبدالإله الأحمدي ج١ ص٣٥٧ برقم ٣٣٤، أيضاً : ص٣٥٨ رقم ٣٣٦،الناشر: دار طيبة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

"والكلام على ذلك أن يقال:هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله، فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة وسياق الأحاديث كلها تدل على ذلك"[١].

قال الإمام أبو يعلى[٢]:" فصل في إطلاق القول بأنه خلق آدم على صورته وأن الهاء راجعة على الرحمن ... والوجه فيه أنه ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه لأننا نطلق تسمية الصورة عليه لا كالصور كما أطلقنا تسمية ذات ونفس لا كالذوات والنفوس... ويطلق القول في صورة آدم على صورته سبحانه لا على طريق التشبيه في الجسم والنوع والشكل والطول لأن ذلك مستحيل في صفاته سبحانه. "[٣]

"ثم إن من قال: إن الضمير في قوله (صورته) راجع إلى آدم أو من قال: إن الضمير راجع على صورة الرجل المضروب، فيرد على هذا التأويل بأنه إذا كان الضمير عائداً على آدم فأي فائدة في ذلك، إذ ليس يشك أحد أن الله خالق كل شيء على صورته وأنه خلق الأنعام والسباع على صورها فأي فائدة في الحمل على ذلك؟

ويرد التأويل بأن الضمير عائد على ابن آدم المضروب بأنه لا فائدة فيه، إذا الخلق عالمون بأن آدم خلق على ولده وأن وجهه كوجوههم" "كما أن إضافة الصورة إلى الرحمن إنما هو من قبيل إضافة الخلق إليه،لأن الخلق يضاف إلى الرحمن إذ الله تعالى خلقه،وكذلك الصورة تضاف إلى الرحمن لأن الله تعالى

---

(١) نقض أساس التأسيس (مخطوط) ٣/٢٢١،٢٠٨.

(٢) هو:الإمام العلامة شيخ الحنابلة القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين ابن الفراء، ولد لتسع وعشرين ليلة خلت من المحرم ، سنة ثمانين وثلاث مئة ، له مؤلفات كثيرة في العقيدة وفي علوم القرآن وفي الفقه وأصوله وفي الحديث وفي الأدب والأخلاق والفضائل، توفي في التاسع عشر من رمضان سنة ثمان وخمسين وأربع مئة رحمه الله، أنظر: سير أعلام النبلاء ١٨/٨٩ ، طبقات الحنابلة ٢/١٩٣، تاريخ بغداد ٢/٢٥٦ .

(٣) إبطال التأويلات لأخبار الصفات لأبي يعلى محمد ابن الحسين بن الفراء ، تحقيق : أبي عبدالله محمد بن حمد النجدي ج١ ط١ ١٤١٠ هـ ص٨١ ،٨٢ .

صورها فأضاف الخلق إلى نفسه(هذا خلق الله) وأضاف الناقة إلى نفسه(هذه ناقة الله)وأضاف الأرض إلى نفسه سبحانه(ألم تكن أرض الله واسعة)وأضاف الفطرة إلى نفسه سبحانه إذ الله تعالى فطر الناس عليها، فما أضاف إلى نفسه على مضافين:إحداهما إضافة الذات.والأخرى إضافة الخلق"[1].

"ثم إن الذي قال: "خلق آدم على صورته" رسول الذي قال: "ليس كمثله شيء" والرسول لا يمكن أن ينطق بما يكذب المرسل والذي قال: "خلق آدم صورته" هو الذي قال: "إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر"[2] فهم على صورة القمر، لكن في الوضاءة والحسن والجمال واستدارة الوجه.

إذاً لا يلزم من كون الشيء على صورته أن يكون مماثلا له"[3].

الفصل الرابع:(تأويل المؤلف للصفات الفعلية وبيان بطلانه) وفيه تمهيد،وثلاثة مباحث:

التمهيد: التعريف بالصفات الفعلية لله تبارك وتعالى:

"يراد بصفة الفعل ما يفعله سبحانه بذاته بمشيئته وقدرته من أفعال على وفق علمه وحكمته كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والحب والرضى والكراهية والمقت والنزول والاستواء والتكليم والمجيء والإتيان...الخ"[4] "فإن اقتضت حكمته فعلها، وإن اقتضت حكمته أن لا يفعلها لم تكن؛ فهذا يكون قديم النوع أو الجنس، وإن كانت آحاده توجد شيئاً"[5]

---

(١) د/ناصر القفاري ، نواقض توحيد الأسماء والصفات ص٧٧ الناشر: دار طيبة.أيضا:حمود التويجري (عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن)ص١٢٨، ٣٨ص ،ط٢ ١٤٠٩هـ .

(٢) الحديث صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق رقم الحديث ٣٠٠٦ ، سنن الترمذي كتاب صفة الجنة رقم الحديث ٢٤٦٠، مسند الأمام أحمد كتاب: باقي مسند المكثرين برقم ٧١٢٦، سنن ابن ماجه في كتاب الزهد برقم ٤٣٢٤ .

(٣) انظر: د/ ناصر القفاري نواقض توحيد الأسماء والصفات الناشر: دار طيبة.

(٤) انظر: خالد العك (فقه التوحيد) ص٢٧ الناشر دار إحياء العلوم بيروت.، أبي عبد الله فالح (معجم ألفاظ العقيدة) ص٢٤٤ الناشر: مكتبةالعبيكان.

(٥) انظر: عبد الله بابطين في تعليقه على لوامع الأنوار البهية للسفريني ١٢/١ نقلاً عن د/علي الصلابي (صفات رب البرية على منهج العقيدة السلفية) ص٦٠ الناشر: الصحابة الشارقة.

المبحث الأول: (تأويله لصفة الكلام ،عرض ونقد) :

ومن الصفات الفعلية[١] للحق-جل وعلا-صفة الكلام وهي ثابتة له سبحانه كما يليق بجلاله وعظيم سلطانه بانتفاء الشبه من خلقه كبقية صفاته الذاتية والفعلية، وقد تكلم سبحانه بكتبه المنزلة منه على خلقه عن طريق رسله -عليهم الصلاة والسلام- بالزبور والتوراة والإنجيل والقرآن الكريم وهو يتكلم كيف ومتى يشاء سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٢].وصفة الكلام ثابتة للمولى جل شأنه وتقدست أسماؤه وصفاته، بالنص القاطع من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة.

فمن الكتاب الكريم قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[٣]. ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾[٤] ﴿ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾[٥].

أما من السنة النبوية المطهرة "عن أبي عبد الله بن أنيس قال:سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان"[٦].

---

(١) وهناك من أهل العلم من جعلها من الصفات المشتركة (الذاتية والفعلية) فهي ذاتية باعتبار النوع كوصفه سبحانه بأنه متكلم ، فعلية باعتبار أفراد الكلام ، كوصفه سبحانه بأنه يتكلم، وقد تكلم بالكتب المنزلة كما يليق بجلاله وعظمته سبحانه، وعلى هذا الأساس أوردنا هذه الصفة الكريمة من الصفات الفعلية.

(٢) الشورى آية ١١ .

(٣) النساء آية ١٦٤ .

(٤) الأعراف آية ١٤٣ .

(٥) الأعراف آية ١٤٤ .

(٦) الحديث صحيح انظر: صحيح البخاري كتاب التوحيد رقم الحديث ٧٤٨١ .

وعن عدي بن حاتم قال،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه"[1].

والمتولي الشافعي –غفر الله لنا وله– أول صفة الكلام بحديث النفس !! كما هي حال بعض الأشاعرة. يقول: "فأما الأصل الأول فعندنا حقيقة الكلام هو المعنى القائم بالنفس الذي تدل عليه العبارات والإشارات والكتابة"[2] ويستدل على ذلك بدليل عقلي قد ادعاه.يقول:

"وأما الدليل على إثبات ما ذكرناه من كلام النفس أن العاقل إذا أمر عبده بأمر وجد في نفسه طلب الطاعة منه وجداناً ضرورياً قبل أن يعلمه به، ثم يدل على ما في نفسه بلغة أو إشارة أو كتابة فدل ذلك على ثبوت كلام النفس"[3] ثم هو يورد أدلة النقل على دعواه تلك.يقول: "والدليل على إثبات كلام النفس من جهة الشرع قوله عز وجل:﴿ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ [4]﴾فأثبت قول النفس،وقوله عليه السلام [5]: "رفع الله عن أمتي ما حدثت به أنفسهم[6]"[7]

---

(١) الحديث صحيح انظر: صحيح البخاري كتاب التوحيد رقم ٦٨٨٩، صحيح النسائي.كتاب الزكاة رقم ٢٥٠٥ .

(٢) الغُنية في أصول الدين ص٩٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١٠٠.

(٤) المجادلة آية ٨ .

(٥) الأولى أن تقرن الصلاة بالسلام لقوله تعالى:(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) الأحزاب٥٦ .

(٦) الحديث صحيح انظر: صحيح البخاري.كتاب الأيمان والنذور: باب إذا حنث ناسياً بالإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) الغُنية في أصول الدين ص١٠٢.

وقد غاب عن المتولي الشافعي ومن قال برأيه من الأشاعرة أن الكلام صفة كمال وضده الخرس وهو صفة نقص، ولو وصف شخص بأنه لا يتكلم يعني ذلك أنه أخرس، والحق جل وعلا منزه عن كل نقص وعيب؛ بل إن كل نقص ينزه عنه المخلوق فالخالق أولى بأن ينزه عنه، وكل كمال وصف به المخلوق فالخالق أولى أن يوصف به.

ويرد على دليله العقلي وعلى فهمه الذي جانب الصواب للأدلة النقلية بأن حديث النفس لا يعتبر كلاماً إلا عند النطق والتلفظ به؛ فالكلام عند الإطلاق يشتمل حديث النفس والتكلم به.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض رده على هذه الدعوى:"ثم إن من المعلوم أن المبلغ عن النبي صلى الله عليه وسلم وأمثاله من الناطقين تكلم به بحروفه ومعانيه؛ مع إمكان الرواية عنه بالمعنى، وإمكان قيام ألفاظ مكان ألفاظ، كما حكى الله تعالى في القرآن الكريم أقوال أمم تكلمت بغير الكلام العربي، ولو قدر أن المبلغ عنه لم يتكلم إلا بمعنى الكلام وعبر عنه لكان كالأخرس الذي تقوم بذاته المعاني من غير تعبير عنها حتى يعبر عنها غيره بعبارة لذلك الغير، ومن المعلوم إن الكلام صفة كمال تنافي الخرس؛ فإذا كان من قال: إن الله لا يقوم به كلام فقد شبه بالجمادات.

ووصفه بالنقص وسلبه الكمال؛ فمن قال أيضاً إنه لا يعبر عما في نفسه من المعاني إلا بعبارة تقوم بغيره؛ فقد شبهه بالأخرس الذي لا يعبر عن نفسه إلا بعبارة تقوم بغيره،وهذا قول يسلبه صفة الكمال ويجعل غيره من مخلوقاته أكمل منه.

وقد قرر في غير هذا الموضع: أن كل كمال يثبت لمخلوق فالخالق أولى به، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى بالتنزه عنه، وكان هذا من الأدلة

الدالة على إثبات صفة الكمال له كالحياة والعلم والقدرة، فإن هذه الصفات كمال تثبت لخلقه فهو أولى وأحق باتصافه لصفات الكمال، ولو لم يتصف بصفات الكمال لكانت مخلوقاته أكمل منه، وهذا بعينه قد احتجوا به –في مسألة الكلام–وهو مطرد في تكلمه بعبارة القرآن ومعناه جميعاً.

وقد استدلوا أيضاً بأنه لو لم يتصف بصفات الكمال لاتصف بنقائضها، وهي صفات نقص، والله منزه عن ذلك، فلو لم يوصف بالحياة لوصف بالموت، ولو لم يوصف بالعلم لوصف بالجهل، ولو لم يوصف بالكلام لوصف بالخرس، ولو لم يوصف بالبصر والسمع لوصف بالعمى والصمم"[(١)].

"فلو لم يكن الكلام إلا مجرد المعاني لكان المخلوق أكمل من الخالق، فإنا كما نعلم أن الحي أكمل من الميت، وإن العالم أكمل من الجاهل،والقادر أكمل من العاجز، والناطق أكمل من الأخرس، فنحن نعلم أن الناطق بالمعاني والحروف أكمل ممن لا يكون ناطقاً إلا بالمعاني دون الحروف، وإذا كان الرب يمتنع أن يوصف بصفات النقص، ويجب اتصافه بصفات الكمال، ويمتنع أن يكون للمخلوق من صفات الكمال مالا يكون للخالق: امتنع أن يكون موسى ابن عمران مفضلاً عن غيره بتكليم الله إياه: كلمه كلاماً سمعه موسى من الله تعالى، فكان تكليمه له بصوت أفضل ممن أوحي إلى قلبه معاني مجردة لم يسمعها بإذنه"[(٢)].

"ولو لم يكن الكلام إلا معنى مجرداً لكان نصف القرآن كلام الله ونصفه ليس كلام الله، فالمعنى كلام الله والألفاظ ليست كلام الله، وهذا خلاف المعلوم من دين المسلمين،ولهذا يفرقون بين القرآن الذي هو كلام الله وبين ما أوحاه إلى نبيه من المعاني المجردة، ويعلمون أن جبريل نزل عليه القرآن كله، ليس

(١) الفتاوى ج٦ ص٢٧٢ تحقيق: مصطفى عطا، الناشر: دار الكتب العلمية.لبنان .

(٢) المصدر السابق ص٢٧٣ .

لجبريل ولا لمحمد منه إلا التبليغ والأداء، فهذا رسوله من الملائكة،وهذا رسوله من البشر"[١]

"ولأنه لا يقال لمن قام به الكلام النفساني ولم يتكلم به، إن هذا كلام حقيقة، وإلا لزم أن يكون الأخرس متكلماً، ولزم ألا يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن كلام الله، ولكن عبارة عنه ليست هي كلام الله"[٢]

"ويرد قول من قال: بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس قوله صلى الله عليه وسلم: "إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس"[٣] وقال: "إن الله يحدث من أمره ما يشاء وإن مما أحدث أ لا تكلموا في الصلاة"[٤] واتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم في الصلاة عامداً لغير مصلحتها بطلت صلاته، واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب لا يبطل الصلاة، وإنما يبطلها التكلم بذلك، فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام.

وأيضاً: ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها، مالم تتكلم به أو تعمل به"[٥].

---

(١) المصدر السابق نفسه نفس الصحيفة.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية للقاضي ابن أبي الغر الدمشقي تحقيق د/ عبد الله التركي وشعيب الأرنؤط ج١ ص٢٠٠ الناشر: دار هجر.أبها.

(٣) الحديث صحيح انظر: صحيح مسلم.كتاب الصلاة رقم الحديث ٧٩٥، واللفظ له ، مسند الإمام أحمد.كتاب مسند المكيين رقم الحديث ١٥١٠٨.

(٤) الحديث صحيح، أخرجه البخاري ١٣/ ٤٩٦ كتاب التوحيد.باب قول الله تعالى "كل يوم هو في شأن" واللفظ له، صحيح مسلم.كتاب المساجد ومواضع الصلاة رقم الحديث ٨٣٧ .

(٥) الحديث صحيح، أخرجه البخاري.كتاب العتق ٢٣٤٣، واللفظ له ، صحيح مسلم.كتاب الإيمان رقم الحديث ١٨١، سنن الترمذي.كتاب الطلاق واللعان ١١٠٣ سنن النسائي.كتاب الطلاق ٣٣٧٩، سنن أبي داود كتاب الطلاق الحديث ١٨٨٨.

فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس إلا أن تتكلم؛ ففرق بين حديث النفس وبين الكلام، وأخيراً أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به، والمراد: حتى ينطق به اللسان باتفاق العلماء فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب.

وأيضاً ففي السنن: أن معاذاً رضي الله عنه قال: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال: "وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم"[1] فبيّن أن الكلام إنما هو باللسان.فلفظ "القول" و "الكلام" وما تصرف منها من فعل ماضي ومضارع وأمر واسم فاعل، إنما يعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظاً ومعنى، ولم يكن في مسمى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما حصل النزاع بين المتأخرين من علماء وأهل البدع، ثم انتشر "[2].

المبحث الثاني:(تأويله لصفة المجيء،عرض ونقد) :

صفة المجيء أو الإتيان من الصفات الفعلية للحق جل شأنه والتي يحدثها كيف ومتى شاء سبحانه وتعالى بما يليق بجلاله وعظيم سلطانه لا يشبه خلقه ولا يشبهه أحد من خلقه.وهذا ثابت في الكتاب الكريم والسنة المطهرة.من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾[3] ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾[4] ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾[5].

(١) الحديث صحيح ، أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان رقم ٢٥٤١، ابن ماجه كتاب الفتن رقم الحديث ٣٩٦٣، مسند أحمد كتاب مسند الأنصار رقم الحديث ٢١٠٠٨ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية للقاضي ابن أبي العز الدمشقي تحقيق: د/ عبد الله التركي وشعيب الأرنؤط الناشر: دار هجر.أبها ج١ ص٢٠٢،٢٠١ .

(٣) الفجر آية ٢٢ .

(٤) البقرة ٢١٠ .

(٥) الأنعام ١٥٨ .

أما الدليل من السنة النبوية المطهرة فقد ورد "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني؛ فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم،وإن تقرب إليّ بشبر تقربت إليه ذراعاً،وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولةً"[(١)].

أما المتولي الشافعي –رحمه الله– فقد أول صفة المجيء بمجيء أمر الله تعالى، واستدل على ذلك بقصة نبي الله إبراهيم –عليه السلام– عندما استدل بأفول الكواكب بعدم إلهيتها.يقول بعد أن ذكر الآيات الكريمات السالفة الذكر: "والمراد به جاء أمر ربك ويأتيهم أمر الله تعالى،والدليل عليه أن الله تعالى ذكر في سورة الأنعام أخباراً عن إبراهيم أنه استدل بأفول الشمس والقمر والكواكب[(٢)] على أنها ليست بآلهة وتبرأ منها ولو كان الباري يجوز عليه الإتيان والمجيء لبطلت الدلالة"[(٣)].

قلت: ليس هناك علاقة باطنة أو ظاهرة بين صفة المجيء للباري سبحانه وتعالى وبين هذه المخلوقات من الكواكب والنجوم في بزوغها وأفولها أو حتى كسوفها وخسوفها؛ حتى يربط (المتولي الشافعي) بينهما .. إذ أن هذه المخلوقات ظاهرة للعيان ليس لها حول ولا قوة تبزغ تارة وتغيب تارة،ولا تستجيب لدعاء ولا لنداء، ولا تجيب المضطر إذا دعاها .. بينما الحق جل في علاه يجيء بصفة تليق بجلاله أحيطت بكمال الألوهية وبعظيم سلطانها؛ إذ أن الفارق بين المخلوق والخالق كبير وواضح ليس فيه لبس.. ثم ماذا يفعل

---

(١) الحديث صحيح انظر: صحيح البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى "ويحذركم الله نفسه" ١٧١/٨،صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،باب الحث على ذكر الله تعالى٤/ ٢٠٦١.

(٢) يشير إلى الآية الكريمة ٧٨ من سورة الأنعام.

(٣) الغُنية في أصول الدين ص١١٥.

(المتولي الشافعي) بالآية الكريمة السابقة الذكر من سورة الأنعام وشاهدها "أو يأتي ربك" فقد ورد بالنص الصريح القاطع إتيان المولى جلّ وعلا، ولا يمكن تفسيره بمجيء أمره أو ملائكته إلى ما هنالك من تأويلات. وقد ذكر ذلك الإمام الطبري(١) عند تفسيره لهذه الآية الكريمة حيث يقول: "يقول جل ثناءه هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام إلا أن تأتيهم الملائكة بالموت فتقبض أرواحهم أو أن يأتيهم ربك يا محمد بين خلقه في موقف القيامة"(٢). وبهذا، فقد بطلت حجة النفاة والمؤولين لصفة المجيء للمولى سبحانه وتعالى بالنص القاطع من القرآن الكريم والسنة المطهرة وببيان أشهر المفسرين للآية الكريمة..

المبحث الثالث: (تأويله النزول،عرض ونقد) :

"النزول والتنزيل والإنزال حقيقة مجيء الشيء أو الإتيان به من علو إلى أسفل.. هذا هو المفهوم منه لغة وشرعاً"(٣) لقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ (٤) ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾(٥) .

إذاً فصفة النزول من الصفات الفعلية للحق جل وعلا فهو ينزل متى شاء وكيفما يشاء نزولاً يليق بجلاله وعظمته لا يشبه المخلوقين ولا يشبهه

---

(١) هو: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الإمام الكبير ، ومن أطبقت الأمة على تقدمه في التفسير وقد كان فقيهاً ومؤرخاً.قال عنه الخطيب البغدادي بأنه يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وقد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره.توفي سنة ٣١٠هـ.انظر: أعلام المسلمين (الإمام الطبري) د/ محمد الزحيلي ص٥.الناشر: دار القلم.دمشق.

(٢) جامع البيان المجلد الخامس ج٨ ص٧٠.الناشر دار الحديث.

(٣) ابن القيم مختصر الصواعق المرسلة.تحقيق سيد إبراهيم.ص٤٢٠ .

(٤) سورة ق~ آية ٩ .

(٥) الشعراء آية ١٩٣ .

المخلوقون كبقية صفاته – تعالى– الذاتية منها والفعلية.. وهذا ما دلت عليه صريح النصوص على لسان نبيه المصطفى –عليه أفضل الصلاة والسلام.

من تلك النصوص ما رواه أبو هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له".(١)

وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا ذهب ثلث الليل الأول، هبط الله عز وجل إلى السماء الدنيا، فقال: هل من مستغفر ؟ هل من سائل؟ هل من داع؟"(٢).

أما المتولي الشافعي –غفر الله لنا وله– فقد أول النزول في هذه النصوص بأنه سبحانه يأمر ملائكته بالنزول، إذا فالنزول نزول الملائكة، واستدل –بفهم خاطئ– بقوله ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾(٣) فمعنى الآية –كما يرى– يحاربون أولياء الله –تعالى– ويضيف.. كما أن الأمير عندما

---

(١) الحديث صحيح، أخرجه البخاري في كتاب التهجد ٢/٤٧ واللفظ له ، أيضاً: أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ١/٥٢١، والإمام الآجري في كتاب الشريعة ص٣١٢ ،ط١ تحقيق عبدالرازق المهدي.

(٢) إسناده صحيح أخرجه مسلم واللفظ له.رقم الحديث ١٥٢٥،كتاب (صلاة المسافرين وقصرها)(باب الترغيب في الدعاء في آخر الليل) ،، صحيح البخاري أبواب التهجد باب(الدعاء والصلاة من آخر الليل) رقم الحديث١٠٩٤، والنسائي في"عمل اليوم والليلة " أنظر:كتاب الشريعة للإمام الآجري.ط١ ص٣١٣.تحقيق: عبد الرازق المهدي.

(٣) المائدة آية٣٣ .

ينادي فلاناً أو يقتل أو يضرب فلاناً لا يتولى هو ذلك بنفسه وإنما يأمر من يقوم به فيضاف الفعل إليه.. يقول: "ومنها ما روي في الخبر "ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا" فالمراد به أنه يأمر الملائكة بالنزول فيكون معناه ينزل ملائكة الله.

ونظيره قوله تعالى: "إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله" ومعناه:يحاربون أولياء الله.[1]

"ويقال في العبارة:نادى الأمير في البلد.والأمير لا ينادي.ولكن يأمر به ويضاف إليه لكونه آمراً له ،ويقال:قتل الأمير فلاناً وضرب فلاناً وهو لا يتولى بنفسه ذلك ويضاف إليه أمراً به"[2]

فالحقيقة أنه لا علاقة في الاستدلال بالآية الكريمة (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) بالحديث الشريف "ينزل تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا..." وذلك لأن فعل النزول منسوب بصراحة إلى الحق –جلّ وعلا– وسياق الحديث النبوي الشريف يدل على هذا المعنى الصريح حيث أنه– سبحانه وتعالى – نسب القول إلى نفسه –جلّ وعلا– "من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فاعطيه، من يستغفرني فاغفر له.." ولو كانت الملائكة هي التي تنزل لقالت: من يدعو الله فيستجيب له، ومن يسأله فيعطيه، ومن يستغفره فيغفر له.

" وأما أهل الحق فيقولون:الإيمان به[3] واجب بلا كيف؛ لأن الأخبار، قد صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن الله عز وجل، ينزل إلى السماء

(١) وقد أخذ بهذا المعنى الإمام القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) ج٦ ص١٥٠.ط دار أحياء التراث العربي.بيروت. أما الإمام ابن كثير في تفسيره فلم يتطرق لهذا المعنى البتة.انظر: ج٢ ص٤٧-٥٢ ط دار المعرفة. بيروت، وكذلك الإمام الطبري في تفسيره. ص١٣٢-١٤٢ ج ٦، ط دار الحديث.القاهرة.

(٢) الغُنية في أصول الدين.تحقيق عماد حيدر.ص١١٥، ١١٦.

(٣) أي:بنزول المولى تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة.

الدنيا كل ليلة، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام، وعلم الصلاة، والزكاة والصيام، والحج،والجهاد وكما قبل العلماء منهم ذلك، كذلك قبل منهم هذه السنن وقالوا: من ردها فهو ضال خبيث يحذرونه ويحذرون منه"[١]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض رده على نفاة صفة النزول: "وأما قول النافي: إنما ينزل أمره ورحمته فهذا غلط لوجوه وعلى تقدير كون النفاة من المثبتة للعلو. وأما إذا كان من النفاة للعلو والنزول جميعاً، فيجاب أيضاً بوجوه: أحدها: أن الأمر والرحمة إما أن يراد بها أعيان قائمة بنفسها كالملائكة وإما أن يراد بها صفات وأعراض، فإن أريد الأول فالملائكة تنزل إلى الأرض في كل وقت، وهذا خص النزول بجوف الليل، وجعل منتهاه سماء الدنيا، والملائكة لا يختص نزولهم لا بهذا الزمان ولا بهذا المكان، وإن أريد صفات وأعراض مثل ما يحصل في قلوب العابدين في وقت السحر من الرقة والتضرع وحلاوة العبادة ونحو ذلك، فهذا حاصل في الأرض ليس منتهاه السماء الدنيا.

الثاني: أن في الحديث الصحيح: "أنه ينزل إلى السماء الدنيا ثم يقول: لا أسأل عن عبادي غيري"[٢] ومعلوم أن هذا كلام الله تعالى الذي لا يقوله غيره.

الثالث: أنه قال: "إلى السماء الدنيا، فيقول: من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ حتى يطلع

---

(١) الإمام الآجري كتاب الشريعة ص٣١١ ط دار الكتاب العربي.بيروت.

(٢) سنن النسائي.كتاب عمل اليوم والليلة رقم الحديث ١٠٣٠٩، واللفظ لإسحاق بن منصور،، سنن الدارمي(كتاب الصلاة) رقم الحديث ١٤٤٥، وإسناده صحيح ،سنن ابن ماجه ،كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، رقم الحديث ١٣٦٤.

الفجر"[1] ، ومعلوم أنه لا يجيب الدعاء ويغفر الذنوب ويعطي كل سائل سؤاله إلا الله تعالى، وأمره ورحمته لا تفعل شيئاً من ذلك.

الرابع: نزول أمره ورحمته لا تكون إلا منه، وحينئذٍ فهذا يقتضي أن يكون هو فوق العالم؛ فنفس تأويله يبطل مذهبه،ولهذا قال بعض النفاة لبعض المثبتين: ينزل أمره ورحمته، فقال له المثبت: فممن ينزل؟! ما عندك فوق شيء، فلا ينزل منه لا أمر، ولا رحمة ولا غير ذلك! فبهت النافي وكان كبيراً فيهم.

الخامس: أنه قد روى في عدة أحاديث:(ثم يعرج) وفي لفظ (ثم يصعد)

السادس: أنه إذا قدر له النازل بعض الملائكة، وأنه ينادي عن الله كما حرف بعضهم لفظ الحديث فرواه (ينزل) من الفعل الرباعي المتعدي أنه يأمر منادياً، لكان الواجب أن يقول: من يدعو الله فيستجيب له؟ من يسأل فيعطيه؟ من يستغفره فيغفر له؟ كما ثبت في الصحيحين وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل وغير ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحببه فيحبه جبريل

(١) الحديث صحيح انظر : صحيح البخاري.باب (الدعاء والصلاة من آخر الليل) حديث رقم ١٠٩٤،،صحيح مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) باب (الترغيب في الدعاء والذكر آخر الليل) حديث رقم١٥٢٥، سنن ابن ماجه كتاب (إقامة الصلاة والسنة فيها) (باب ما جاء في أي ساعات الليل أفضل) رقم الحديث١٣٦٤، مسند أحمد مسند المدنيين حديث رقم ١٥٦٢٥.

فينادي جبريل في أهل السماء إني أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض"(١).

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم الفرق بين نداء الله ونداء جبريل، فقال في نداء الله: "يا جبريل!إني أحب فلاناً فأحبه" وقال في نداء جبريل: "إن الله يحب فلاناً فأحبوه" وهذا موجب اللغة التي بها خوطبنا، بل وموجب اللغات، فإن ضمير المتكلم لا يقوله إلا المتكلم. فأما من أخبر عن غيره فإنما يأتي باسمه الظاهر وضمائر الغيبة، وهم يمثلون نداء الله بنداء السلطان ويقولون: قد يقال: نادى السلطان، إذا أمر غيره بالنداء.وهذا كما قالت الجهمية المحضة في تكليم الله لموسى: إنه أمر غيره فكلمه، فلم يكن هو المتكلم،فيقال لهم: إن السلطان إذا أمر غيره أن ينادي أو يكلم غيره أو يخاطبه، فإن المنادي ينادي: معاشر الناس! أمر السلطان بكذا، أو رسم بكذا، لا يقول أني أنا أمرتكم بذلك، ولو تكلم بذلك لأهانه الناس،ولقالوا:من أنت حتى تأمرنا؟! والمنادي كل ليلة يقول: "من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ " كما في ندائه لموسى –عليه السلام– ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾(٢) وقال: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٣) ومعلوم أن الله لو أمر ملكاً ينادي كل ليلة أو ينادي موسى

(١) الحديث صحيح انظر: صحيح البخاري.كتاب بدء الخلق رقم ٢٩٧٠، ،، صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب حديث ٤٧٧٢ ، سنن الترمذي.كتاب تفسير القرآن حديث ٣٠٨٥، مسند أحمد.كتاب باقي مسند المكثرين ٧٣٠٦ ،، موطأ مالك.كتاب الجامع حديث ١٥٠٢ .

(٢) طه آية ١٤ .

(٣) القصص آية ٣٠ .

لم يقل الملك: "من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ " ولا يقول: " لا أسأل عن عبادي غيري"[(١)].

وفي معرض الرد على نفاة النزول يقول الإمام ابن القيم الجوزية -رحمه الله- : "إن نزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا قد تواترت الأخبار به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رواه عنه ثمانية وعشرون نفساً من الصحابة، وهذا يدل على أنه كان يبلغه في كل مواطن ومجمع، فكيف تكون حقيقته محالاً أو باطلاً وهو- صلى الله عليه وسلم -يتكلم بها دائماً ويعيدها ويبيدها مرة بعد مرة، ولا يقرن باللفظ ما يدل على مجازه بوجه ما، بل يأتي بما يدل على إرادة الحقيقة كقوله: "ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: وعزتي وجلالي لا أسأل عن عبادي غيري" وقوله: "من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له" وقوله: "فيكون كذلك حتى يطلع الفجر ثم يعلو على كرسيه"[(٢)] فهذا كله بيان الإرادة الحقيقة، ومانع من حمله على المجاز"[(٣)].

"ثم إن الخبر وقع عن نفس ذات الله لا عن غيره فإنه قال: "إن الله ينزل إلى السماء الدنيا" فهذا خبر عن معنى لا عن لفظ، والمخبر عنه هو مسمى هذا الاسم العظيم، فإن الخبر يكون على اللفظ تارة، وهو قليل ويكون مسماه ومعناه هو الأكثر، فإذا قلت:زيد عندكم وعمرو قائم، فإنما أخبرت عن الذات لا عن الاسم فقوله: ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [(٤)] هو خبر عن ذات الرب تعالى

---

(١) مجموع الفتاوى ج٥ كتاب الأسماء والصفات ص٢٠٥-٢٠٧ تحقيق مصطفى عطا ط١ دار الكتب العلمية.بيروت .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ١/ج ٥٠٠، ٥٠١ .

(٣) مختصر الصواعق المرسلة.تحقيق سيد إبراهيم ص٤٢٣ ط١ دار الحديث.القاهرة.

(٤) الرعد آية ١٦ .

فلا يحتاج المخبر أن يقول خالق كل شيء بذاته وقوله: ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾[(١)] قد علم أن الخبر عن نفس ذاته وقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[(٢)] وكذلك جميع ما أخبر الله به عن نفسه إنما هو خبر عن ذاته،لا يجوز أن يخص من ذلك إخبار واحد البتة. فالسامع قد أحاط علماً بأن الخبر إنما هو عن ذات المخبر عنه،ويعلم المتكلم بذلك لم يحتج أن يقول أنه بذاته فعل وخلق واستوى فإن الخبر عن مسمى اسمه وذاته، هذا حقيقة الكلام، ولا ينصرف إلى غير ذلك إلا بقرينة ظاهرة تزيل اللبس وتعين المراد"[(٣)].

"ثم إن قوله "من يسألني فأعطيه.من يستغفرني فأغفرله" إذا ضممت هذا إلى قوله "ينزل ربنا إلى سماء الدنيا" وإلى قوله "لا يسأل عن عبادي غيري، علمت أن هذا مقتضى الحقيقة لا المجاز، وأن هذا السياق نص في معناه لا يحتمل غيره الذي قال فيه: إن ربك اتخذ في الجنة وادياً أفيح من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل عن كرسيه، ثم ذكر الحديث: ثم إن أعلم الخلق بالله وأنصحهم للأمة وأقدرهم على العبارة التي لا توقع لبساً قد صرح بالنزول مضافاً إلى الرب في جميع الأحاديث، ولم يذكر في موضع واحد ما ينفي الحقيقة.بل يؤيدها.فلو كانت إرادة الحقيقة باطلة، وهي منفية لزم القدح في علمه أو نصحه أو بيانه.ثم إنه لم يقتصر على لفظ النزول العادي عن قرينة المجاز المذكور معه ما يؤكد إرادة الحقيقة حتى نوّع هذا المعنى، وعبر عنه بعبارات متنوعة كالهبوط والدنو والمجيء والإيتان والطواف في الأرض مثل يوم القيامة.قـــال تعـــالى

(١) يونس آية ٣٢ .

(٢) الأنعام آية ١٢٤ .

(٣) المصدر السابق ص٤٢٤ .

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[1] وقال: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ[2] ﴾ ففرق بين إتيان أمره وبين إتيان نفسه"[3].

الفصل الخامس: منهجه في (التفويض بالصفات) وبيان بطلانه:

التمهيد: في معنى التفويض لغة واصطلاحاً:

أولاً:معنى التفويض في اللغة :

"الفاء والواو والضاد، فوض، أصل صحيح يدل على اتكال في الأمر على آخر ورده عليه"[4]

"ويقال: فوض إليه الأمر، إذا صيره إليه، وجعله الحاكم فيه"[5] وفي التنزيل قوله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[6] وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم:"وفوضت أمري إليك"[7] "أي:صيرته إليك ورددته إليك" .

---

(١) الفجر ٢٢ .

(٢) الأنعام ١٥٨ .

(٣) المصدر السابق ص٤٢٥ .

(٤) ابن فارس.معجم مقاييس اللغة.ج٤ ص٤٦٠ مادة فوض ، لسان العرب ج٧ ص٢١٠ مادة فوض

(٥) د/ عثمان حسن منهج الاستدلال ج٢ ص ٥٧٩ط مكتبة الرشد.الرياض .

(٦) غافر آية ٤٤ .

(٧) الحديث صحيح انظر : صحيح البخاري.كتاب الوضوء رقم الحديث ٢٣٩، صحيح مسلم. كتاب (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار)، سنن الترمذي.كتاب (الدعوات) رقم الحديث ٣٣١٦.

ثانياً: معنى التفويض اصطلاحاً :

"التفويض هو رد العلم بنصوص الصفات والمعاد إلى الله تعالى: إما معنى وكيفية، أو كيفية فقط، وعليه فالتفويض قسمان:

الأول: تفويض المعنى والكيفية وهو ما عليه بعض الخلف.

الثاني: تفويض الكيفية دون المعنى؛ وهو مذهب السلف، وإن لم يجر على اصطلاحهم تسميته تفويضاً، بل المعروف عنهم الإثبات" (١)

والحقيقة أن مذهب التفويض أو (التجهيل)(٢) (واللاأدرية)(٣) كما سماه بعض العلماء يدعي نفي العلم بالمعنى والكيف معاً في نصوص صفات الباري –جلّ وعلا– الذاتية والفعلية؛ فهم يدعون إلى عدم الأخذ بظاهر نصوص الصفات لأنها لا تحمل معنى مفهوماً أو معقولاً!! ، ويفوضون فهمها وتعقلها إلى الحق – جل وعلا– وينسبون هذا القول إلى السلف زوراً وبهتاناً، والسلف من مذهبهم هذا براء. فالسلف –رضوان الله عليهم– يفوضون الكيف دون المعنى. وإن لم يجر في اصطلاحهم لفظ (تفويض) بل يسمونه (الإثبات).

---

(١) المرجع السابق ص٥٧٩، ٥٨٠ .

(٢) الإمام ابن قيم الجوزية (مختصر الصواعق المرسلة) ج١ ص٧٣.تحقيق سيد إبراهيم.ط١ الناشر دار العاصمة.الرياض .

انظر: د/ أحمد القاضي.مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات ص٥٣٩ ط١. الناشر دار العاصمة.الرياض .

(٣) الإمام ابن اقيم الجوزية في مختصر الصواعق المرسلة ص١٢٨ ط١ الناشر: دار الحديث.القاهرة .

وذلك لأن العقل محاط بعتبات الحواس، والحواس مخلوقة ضعيفة لا تستطيع الإحاطة بخلق من مخلوقاته تعالى كالشمس مثلاً.فضلاً على أن تحيط أو تدرك الكيف في صفات الخالق سبحانه وتعالى.

إذا فقد "تباين السلف وأصحاب التفويض في مسائل.أهمها:

الأولى: أن السلف أثبتوا اللفظ وما دل عليه من المعاني؛ مع فهمهم المعنى المراد من حيث الوضع اللغوي، ومن حيث معرفة مراد المتكلم فيعلمون معنى السمع والبصر، والوجه واليدين، والصراط والميزان ونحو ذلك.

أما أصحاب التفويض، فهم وإن كانوا أثبتوا اللفظ، وفهموه من حيث وضع اللغة، لكنهم توقفوا في تعيين المراد به في حق الله تعالى؛ بل يمنعون أن يكون ظاهره مراداً.

الثانية: السلف فوضوا العلم بالكيفية دون العلم بالمعنى؛ فيعلمون معنى السمع والبصر واليدين، ويعلمون معاني ما أخبر الله به من مسائل اليوم الآخر، ولكنهم يجهلون كيفية ذلك وحقيقته التي هو عليها.

أما أصحاب التفويض فقد فوضوا العلم بالكيفية والمعنى جميعاً، فلا يعلمون معاني نصوص المعاد، بل يقولون:لا ندري ما أراد الله بها"[١]

ولنعد إلى مؤلفنا (المتولي الشافعي) رحمة الله، فقد أصدر فتوى: بأن الأولى لهم أن يعرضوا عن التأويل ويؤمنوا بظواهر النصوص بترك فهم معناها وتعقله وإجرائها [٢]كما جاءت؛ فهو يشير بذلك بوضوح إلى مذهب التفويض في الصفات والأخبار... يقول:"والأولى لمن لا يتجر في العلم الأعراض عن التأويل في

---

(١) د. عثمان حسن.منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ج٢ ص٥٨٢، ٥٨٣ ط٣.مكتبة الرشد .

(٢) هكذا. وقد يكون الصواب وإجراؤها ..

جملة ذلك والإيمان بظاهر الآيات والأخبار وإجرائها كما جاءت مع الاعتقاد بأنه لا يجوز عليه سبحانه وتعالى ما هو من سمات المحدثين وصفات المخلوقين"[١]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[٢] في معرض رده على المفوضة:

"وأما التفويض: فإن من المعلوم أن الله أمرنا أن نتدبر القرآن، وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله؟

وأيضاً فالخطاب الذي أريد به هدانا والبيان لنا وإخراجنا من الظلمات إلى النور إذا كان ما ذكر فيه من النصوص ظاهره باطل وكفر، ولم يرد منا أن نعرف لا ظاهره ولا باطنه، و أراد منا أن نعرف باطنه من غير بيان في الخطاب لذلك، فعلى التقديرين لم نخاطب بما بين فيه الحق، ولا عرفنا أن مدلول هذا الخطاب باطل وكفر وحقيقة قول هؤلاء في المخاطب لنا: أنه لم يبين الحق، ولا أوضحه، مع أمره لنا أن نعتقده، وأن ما خاطبنا به وأمرنا باتباعه والرد إليه لم يبين به الحق ولا كشفه، بل دل ظاهره على الكفر والباطل، وأراد منا أن لا نفهم منه مالا دليل عليه فيه.وهذا كله مما يعلم بالاضطرار تنزيه الله ورسوله عنه، وأنه من جنس أقوال أهل التحريف والإلحاد"[٣].

"وما ذكرناه من لوازم قول أهل التفويض: هو لازم قولهم الظاهر المعروف بينهم، إذا قالوا: أن الرسول كان يعلم معاني هذه النصوص المشكلة المتشابه، ولكن لم يبين للناس مراده بها، ولا يوضحه إيضاحاً يقطع به النزاع.

---

(١) الغُنية في أصول الدين.ص١١٧ .

(٢) سبقت ترجمته في ص١١٢ .

(٣) درء تعارض العقل والنقل.تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن ج١ ص١١٦ الناشر: دار الكتب. بيروت.

وأما على قول أكابرهم: (إن معاني هذه النصوص المشكلة لا يعلمه إلا الله، وإن معناها الذي أراده الله بها هو ما يوجب صرفها عن ظواهرها) فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص ولا الملائكة ولا السابقون الأولون، وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه، لا يعلم الأنبياء معناه؛ بل يقولون كلاما لا يعقلون معناه، وكذلك نصوص المثبتين للقدر عند طائفة والنصوص المثبتة للأمر والنهي والوعد والوعيد عند طائفة، والنصوص المثبتة للمعاد عند طائفة.

ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء؛ إذا كان الله سبحانه أنزل القرآن، وأخبر أنه جعله هديًا وبياناً للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزل إليهم،وأمر بتدبر القرآن وعقله؛ ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته، أو عن كونه خالقاً لكل شيء وهو بكل شيء عليم، أو عن كونه أمر ونهىٰ، ووعد وتوعد، أو عما أخبر به عن يوم الآخر، لا يعلم أحد معناه فلا يعقل ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بيّن للناس ما نزل إليهم، ولا بلغ البلاغ المبين.

وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك؛ لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة لا يعلم أحد معناها، ومالا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به.

فيبقى هذا الكلام سداً لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحاً لباب من يعارضهم ويقول: إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء، لأنا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون فضلاً عن أن يبينوا مرادهم.

فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد"[١]. ثم إن"مقتضى الإيمان بآيات القرآن الكريم وأحاديث النبي عليه السلام إنما يكون بإثبات جميع جزئيات ما يجب الإيمان به، وفي ذلك زيادة في الإيمان على من فوض الصفات لأن إيمانه بها يكون مجملاً لا تفصيل فيه، ولا تفريق بين صفة وأخرى، مع الزعم بأن الظاهر منها غير مراد الذي لا يتفق مع اعتقاد هذه الصفة".

وفي معرض رد الإمام ابن القيم الجوزية على المفوضة والذين قد سماهم "اللاأدرية" يقول: "مقام اللاأدرية الذين يقولون: لا ندري معاني هذه الألفاظ، وينسبون طريقهم إلى السلف، وهي التي يقول المتأولون إنها أسلم، ويحتجون بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٢] ويقولون: هذا هو الوقف التام عند جمهور السلف، وهو قول أبي بن بكعب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعائشة،وعروة بن الزبير وغيرهم من السلف والخلف، وعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص ولا أصحابهم ولا التابعون لهم بإحسان، بل يقرؤون كلاماً لا يعقلون معناه.

---

(١) د/ رضا بن نعسان معطي (علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين) تقديم الشيخ عبدالعزيز بن باز.ط٥ ص٦٥ .

(٢) آل عمران آية ٧ .

ثم هم متناقضون أفحش تناقض فإنهم يقولون: تجري على ظاهرها وتأويلها باطل فإن الله سبحانه أمر بتدبر كتابه وتفهمه وتعقله، وأخبر أنه بيان وهدى وشفاء لما في الصدور، وحاكم بين الناس في ما اختلفوا فيه، ومن أعظم الاختلاف اختلافهم في باب الصفات والقدر والأفعال، واللفظ الذي لا يعلم ما أراد به المتكلم لا يحصل به حكم ولا هدي ولا شفاء ولا بيان"[1].

يقول المحقق لكتاب (العلو للعلي العظيم) للإمام الحافظ الذهبي[2] في معرض رده على المفوضة:"الرد على أهل التفويض، وبيان لوازمه :

١- إن أعظم جناية لهذا المسلك أن ينسب هذا المذهب إلى سلف الأمة وخيارها، وأن يقال إن التفويض هو منهج أهل السنة.

٢- إن القول بالتفويض قدح في حكمة الرب تبارك وتعالى، وفي القرآن الكريم، وفي الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وذلك بأن يكون الله تعالى أنزل كلاماً لا يفهم، وأمر بتدبر مالا يتدبر، وأن يكون القرآن الكريم هو النور المبين والذكر الحكيم سبباً لأنواع الاختلافات والضلالات.. وأن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبلغ البلاغ المبين.وبهذا تكون قد فسدت الرسالة،وبطلت الحجة؛وهو الذي لم يتجرأ عليه صناديد الكفر.

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة.ص١٢٨، ١٢٩ ط١.تحقيق: سيد إبراهيم.

(٢) هو محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي الشافعي الذهبي، ولد سنة ٦٧٣هـ في قرية قرب دمشق وتوفي سنة ٧٤٨هـ ، كان مولعاً بالعلم وحلقات المحدثين منذ صغره، برع في علوم القراءات والحديث والتاريخ، ولشهرته أصبح واحداً من أعلام التدريس في الديار الشامية، وكان أحد أئمة السنة والحديث، وقد سار على منهجهم في مسائل العقيدة،وانتصر لهم ودعا لالتزام طريقهم، ويعد الإمام الذهبي من المكثرين في التصنيف، وقد قاربت مؤلفاته المئة.

انظر: مقدمة كتاب (العلو للعلي العظيم) تحقيق: د/ عبد الله البراك.ج١ ط١ ص٤٥ –٦٧ الناشر دار الوطن.الرياض ، بتصرف واختصار .

٣– إن القول بالتفويض وقوع في التعطيل المحض؛ لأن إثبات أسماء الله وصفاته يلزم منه الإيمان بما تدل عليه من معانٍ، وأهل التفويض على النقيض من ذلك،وآمنوا بألفاظٍ مجردة عن المعاني.فاسمه الرحمن –مثلا– دال على صفة الرحمة كما يقول أهل السنة، والمفوضة لم يؤمنوا بهذا؛لعدم علمهم بمعنى كل اسمٍ من أسمائه على التعيين.

٤– أن أصحاب التفويض وافقوا أهل التأويل في أن الله أنزل كلاماً ما يراد به خلاف الظاهر منه، فنصوص الصفات والتوحيد والقدر، ألفاظ لا نعقل معانيها ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها.

٥– مصادمة دلائل النصوص الشرعية في باب الإثبات، فإذا كان أحد لا يعلم معنى النصوص وما تدل عليه، أصبح الحق متعلقاً بالأدلة العقلية، والمقدمات المنطقية التي يقيمونها.فيظهر من ذلك أن قول أهل التفويض من شر أقوال أهل البدع والإلحاد.

٦– وفيه: تجهيل للأئمة والسابقين من العلماء.فأهل التفويض على حد زعمهم في نصوص الصفات أنها ألفاظ لا تعقل معانيها، ولا ندري ما أراد الله بها ورسوله منها، ولكن نقرأها ألفاظاً لا معنى لها، قد جنوا على السلف الصالح الذين تواترت أقوالهم في إثبات دلالات هذه النصوص على صفات الله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه.

فمن هذا العرض لمذهب أهل التأويل وأهل التفويض تجاه نصوص الكتاب والسنة، يظهر صحة منهج السلف الصالح ،وسلامة طريقتهم في أسماء الله وصفاته"(١).

(١) العلو للعلي العظيم.تحقيق: عبد الله البراك ج١ ص٢١١ –٢١٣ ط١ الناشر دار الوطن.الرياض.

﴿الخاتمة﴾

وفيما يلي تلخيص لأهم نتائج ونقاط هذه الدراسة:

١- التأويل عند السلف يأتي بمعنى:التفسير والبيان،واستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم حين دعا لابن عباس بقوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل".

٢- التأويل عند المتكلمين: هو صرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه، وما يخالف ظاهره،وهو الشائع في عرف المتأخرين.

أو هو : حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتمال له.

٣- بيان ثبوت الصفات الذاتية للحق سبحانه،وأنه يراد بها ما تكون لازمة للذات أزلاً أو أبداً لا يتصور انفكاكها عنها، وذلك كصفة الحياة والقدرة والعلم والعزة والكبرياء والجلال.

٤- بيان ثبوت صفة اليد للباري –عز وجل– والرد على المؤولة، ومن أدلة ثبوتها قوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ [١]﴾ وما ورد في صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه:"يا آدم .....أما ترى الناس ؟ خلقك الله بيده ...." إلخ.

والقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نزلا بلغة العرب، وعندما يقال:فعلت هذا بيدي فإنه يدل دلالة قاطعة بأنه فعله بيده ولا يجوز تأويله.

٥- بيان ثبوت صفة العينين للحق –جل شأنه– في نصوص كثيرة وصريحة من الكتاب الكريم.منها قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[٢].

---

(١) سورة ص~ آية ٧٥ .

(٢) الطور آية ٤٨ .

ومنها ما ورد في صحيح البخاري من حديث عبدالله بن عمر عنه صلى الله عليه وسلم:"إن الله لا يخفى عليكم إنه ليس بأعور.وأشار بيده إلى عينه" .

٦- بيان ثبوت صفة الوجه لله -سبحانه وتعالى-ومن أدلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[١] ومن السنة ما أخرجه مسلم في صحيحه من قوله عليه الصلاة والسلام:"حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه من انتهى إليه بصره من خلقه".

٧- بيان ثبوت صفة النور للحق -سبحانه وتعالى- ومن أدلة ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٢] ومن ذلك ما ورد في مسند الإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله أبو ذر:هل رأيت ربك ؟ قال: "نورٌ أنّى أراه " .

٨- بيان ثبوت صفة الساق للحق -جل وعلا- وقد وردت لفظة (الساق) نكرة في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[٣].

ولكن يعضد ويقوي الإيمان بإثبات هذه الصفة ما ورد في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يكشف ربنا عن ساقه، فسجد له كل مؤمن ومؤمنة...." إلخ .

٩- بيان ثبوت صفة القدم للحق -سبحانه وتعالى- وقد وردت الأحاديث الصحيحة في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ

(١) الرحمن ٢٧ .

(٢) النور ٣٥ .

(٣) القلم ٤٢ .

هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾[1] ما ورد في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه... ... أنه تعالى ينشئ للنار من يشاء فتقول: هل من مزيد ثلاثاً حتى يضع قدمه فتمتلئ ويرد بعضها إلى بعض وتقول:قط قط قط ....إلخ" .

١٠- بيان ثبوت صفة الصورة للمولى عز وجل،وأن الله -تعالى- خلق آدم على صورته، لما ورد في صحيح البخاري ومسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: "خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً" .

١١- بيان المراد بصفة الفعل؛وهو ما يفعله سبحانه بذاته بمشيئته وقدرته من أفعال وفق علمه وحكمته كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والنزول والمجيئ..

١٢- بيان ثبوت صفة الكلام لله -سبحانه وتعالى- وهي ثابتة له كما يليق بجلاله وعظيم سلطانه؛فهو يتكلم كيف ومتى شاء.ومن أدلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا[2]﴾ .

ومن السنة ما ورد في صحيح البخاري عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه.ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب " .

١٣-بيان ثبوت صفة المجيء لله -سبحانه وتعالى- وهي صفة يحدثها كيف ومتى شاء قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾[3] كذلك ما ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ".....وإن أتاني يمشي أتيته هرولةً ".

---

(١) ق ٣٠ .

(٢) النساء ١٦٤ .

(٣) الفجر ٢٢ .

١٤– بيان ثبوت صفة النزول للمولى –سبحانه– لما ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل يمهل حتى إذا كان شطر الليل نزل تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فقال: هل من مستغفرٍ فيغفر له؟ هل من داعٍ فيستجاب له ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ حتى ينفجر الفجر".

١٥– بيان معنى التفويض من (فوض) وهو رد العلم بنصوص الصفات والمعاد إلى الله تعالى: إما معنى وكيفية، أو كيفية فقط ، ثم إن تفويض الكيفية دون المعنى هو مذهب السلف، وإن لم يجر على اصطلاحهم تسميته تفويضاً؛ بل المعروف عنهم الإثبات؛ لأن السلف أثبتوا اللفظ وما دل عليه من المعاني.أما أصحاب التفويض فقد فوضوا العلم بالكيفية والمعنى جميعاً؛ فلا يعلمون معاني النصوص، وقد توقفوا في تعيين المراد به في حق الله تعالى؛ بل يمنعون أن يكون ظاهره مراداً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

تم بحمد الله وتوفيقه ،

﴿مراجع البحث﴾

أورد هنا المصادر والمراجع التي اعتمد عليها هذا البحث مباشرة، أما ما كان اعتمادي عليه غير مباشر فلم أذكره في هذه القائمة.

-القرآن الكريم.

- ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم (درء تعارض العقل والنقل) تحقيق عبد اللطيف ابن عبد الرحمن ط١ ١٤١٧هـ/١٩٩٧م الناشر: دار الكتب العلمية.بيروت.

- ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم (مجموع الفتاوى) جمع عبد الرحمن القاسم.ط١ الناشر: مكتبة المعارف الرباط.المغرب.

- ابن تيمية:نقض أساس التقديس ، مخطوط .

-ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم(التدمرية)تحقيق:د/محمد السعوي، الناشر:مكتبة العبيكان.

- ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر (مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة) تحقيق: سيد إبراهيم.ط١ ١٤١٢هـ/١٩٩٢م الناشر: دار الحديث. القاهرة.

- ابن كثير إسماعيل القرشي (تفسير القرآن العظيم) ط١٩٨٢م/١٤٠٢هـ الناشر: دار المعرفة.بيروت.

- ابن منظور محمد بن مكرم (لسان العرب) الناشر: دار صادر.بيروت.لا يوجد سنة نشر ولا طبعة.

-أبي يعلى محمد بن الفراء(إبطال التأويلات لأخبار الصفات)تحقيق:محمد النجدي.ط١ ج١ الناشر:مكتبة دار الذهبي.

-أبو الحسن علي الدارقطني (كتاب الصفات ويليه أحاديث النزول) تحقيق:أبو يعقوب المصري ط١ ١٤٢٥ه النشر:مكتبة ابن تيمية.

-أبو عبد اللطيف الأنصاري (رسائل في العقيدة)ط١ ١٤٢٤ه الناشر:مكتبة الفرقان.

– إبراهيم محمد بن إسماعيل(معجم الألفاظ والأعلام القرآنية) الناشر: دار الفكر العربي. القاهرة.رقم الطبعة وسنة النشر: لا يوجد

– الآجري محمد بن الحسين(كتاب الشريعة) تحقيق: عبد الرازق المهدي.ط١ ١٤١٧هـ/١٩٩٦ الناشر: دار الكتاب العربي.بيروت.

– الآمدي سيف الدين (الأحكام) ط.دار الفكر.بيروت.الطبعة وسنة النشر لا يوجد

– الأندجاني السيد قاسم (المصباح في أصول الحديث) ط٢ ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م الناشر: مكتبة الزمان.المدينة المنورة.

– الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل (الإبانة في أصول الديانة) ط١ ١٤٠١هـ/١٩٨١م تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط.الناشر: مكتبة دار البيان. دمشق.

- البخاري محمد بن إسماعيل مع (فتح الباري) للعسقلاني الناشر: دار المعرفة. بيروت.

- الحافظ البيهقي (الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد)ط١٤٠١،١هـ بيروت، دار الافاق الجديدة ، تحقيق: أحمد عصام الكاتب .

- الحافظ الذهبي محمد بن أحمد (كتاب العلو للعلي العظيم) تحقيق: عبد الله البراك.ط١ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م الناشر: دار الوطن.الرياض.

-الحافظ الذهبي (العبر في خبر من غبر) تحقيق:فؤاد سيد.ط٢ .الناشر:وزارة الإعلام في الكويت.

-ابن خلكان أبي العباس أحمد بن محمد(وفيات الأعيان)حققه:د/إحسان عباس الناشر:دار صادر.بيروت.

-أبوالفلاح عبد الحي الحنبلي(شذرات الذهب في أخبار من ذهب)ج٣ الناشر:المكتب التجاري.بيروت.

- حمود بن عبد الله التويجري (عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن)ط٢ ١٤٠٩ه الناشر:دار اللواء.

- الجبرين عبد الله بن عبد الرحمن (التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية) ط١ ١٤١٩هـ /١٩٩٨مالناشر: دار الوطن.الرياض.

- الإمام أحمد بن حنبل (المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة) ط١، ١٤١٢ه تحقيق:عبد الإله الأحمدي .

– الجرجاني علي بن محمد الشريف (كتاب التعريفات) ط ١٩٧٨م الناشر: مكتبة لبنان.بيروت. الطبعة وسنة النشر لا يوجد .

– الجامي د/ محمد أمان (الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه) الناشر: دار التقوى بلبيس. الطبعة وسنة النشر لا يوجد

– الجليند د/ محمد السيد (الإمام ابن تيمية وقضية التأويل) (ط٣) ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م الناشر: دار عكاظ.جدة.

– الدارمي (كتاب الصحيح) محمد بن عبد الله تحقيق فواز زمرلي وخالد السبع ط١٤٠٧هـ الناشر دار الكتاب العربي.بيروت. الطبعة وسنة النشر لا يوجد .

– الدمشقي علي بن أبي العز (شرح العقيدة الطحاوية) تحقيق د/عبد الله التركي، وشعيب الأرناؤوط ط٤ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م الناشر: دار هجر.أبها.

– الراغب الأصفهاني حسين بن محمد (المفردات في غريب القرآن) تحقيق: محمد سيد كيلاني.الناشر: دار المعرفة.بيروت. الطبعة وسنة النشر لا يوجد .

– الزحيلي د. محمد (سلسلة أعلام المسلمين ، الإمام الطبري) الناشر: دار القلم. دمشق. ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

– الزبيدي (تاج العروس من جواهر القاموس) ط.دار صادر بيروت. الطبعة وسنة النشر لا يوجد.

– الزركلي محمد خيرالدين (الأعلام) الناشر: دار العلم.ط٥ سنة: ١٩٨٠م .

- الصلابي علي محمد (صفات رب البرية على منهج العقيدة السلفية) ط١ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١مالناشر: مكتبة الشارقة.

- الطبري محمد بن جرير (جامع البيان) الناشر: دار الحديث. القاهرة.١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

- العك خالد بن عبد الرحمن (فقه التوحيد من شرح الطحاوية وفتح المجيد) ط١ ١٤١٦هـ-١٩٩٦م الناشر: دار إحياء العلوم.بيروت.

- الغامدي أحمد بن عطية (البيهقي وموقفه من الإلهيات) ط٤ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م الناشر: مكتبة العلوم والحكم.المدينة المنورة.

- الفريوائي د/ عبد الرحمن بن عبد الجبار (بحوث عن شيخ الإسلام ابن تيمية وأعماله الخالدة) ط٢ ١٤١٢هـ/١٩٩١م الناشر: دار الصميعي.الرياض.

- الفيروز أبادي (القاموس المحيط). الطبعة وسنة النشر لا يوجد .

- القرطبي محمد بن أحمد (الجامع لأحكام القرآن) ط دار إحياء التراث العربي. بيروت. الطبعة وسنة النشر :لا يوجد .

- القاضي د/ أحمد بن عبد الرحمن (مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات) (عرض ونقد) ط١ ١٤١٦هـ/١٩٩٦م الناشر: دار العاصمة.الرياض.

- القفاري د/ ناصر بن عبد الله (نواقض توحيد الأسماء والصفات) ط١ ١٤١٩هـ الناشر: دار طيبة.

– المتولي الشافعي عبد الرحمن النيسابوري (الغُنية في أصول الدين) تحقيق: عماد الدين حيدر.ط١ ١٤٠٦هـ/١٩٨٧م الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية.بيروت.

– حسن عثمان بن علي (منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد) ط٤ ١٤١٩هـ/١٩٩٨م الناشر: مكتبة الرشد.الرياض.

– فالح عامر بن عبد الله(معجم ألفاظ العقيدة) تقديم: عبد الله بن جبرين.ط١ ١٤١٧هـ/١٩٩٧م الناشر: مكتبة العبيكان.الرياض.

– كندو محمد بن إسحاق (منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة) ط١ ١٤١٩هـ/١٩٩٨م مكتبة الرشد.الرياض.

– موسوعة الحديث الشريف الكتب التسعة (شركة صخر)CD (١٩٩١م-١٩٩٦م)

– معطي رضا بن نعسان (علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين) تقديم: الشيخ عبد العزيز بن باز.ط٥.الناشر: مطابع التراث.مكة المكرمة.سنة النشر: لا توجد.

– نصر محمد بن موسى (صفة الساق لله تعالى بين إثبات السلف وتعطيل الخلف) ط١ ١٤١٣هـ/١٩٩٢م الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية.المدينة النبوية.

المحتوى